ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Inference in Explaining the Poetry of Al-Mutanabi by Ibn Jinni (Reading in light of the deliberative fitness theory)

Sami shahab ahmed
Kirkuk university

Suha younus salman
Kirkuk General Education Directorate

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث

٠ 07701311838

Keywords:
In
fi
C
M
F

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 29 Mar. 2021
Accepted 12 Apr 2021
Available online 29 Sept 2021
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

Pragmatics aims at enhancing connotations and meanings alongside presenting active visions that is coincided with changes which affect the critical matrix. For each theory there are key aspects and pillars by which it permeates contexts and topics and thus tries to deconstruct and construct them in the form of epistemological cognition and multiple knowledge. Theory of cohesion, the core of this study, aims at finding a real connectedness for epistemological inference. This is achieved by means of linguistic context of the text and referring to symbolism and personification and the attempts to reach a pragmatic treatment that gives an epistemological tincture.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.9.2021.02

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University

الاسْتِدلالُ في شرحِ شِعر المُتنبّي لابن جنّي (قِرآءةٌ في ضوءِ نظريَّةِ المُلاءمة التداوليَّة)

أ.د.سامي شهاب احمد/ جامعة كركوك/كلية التربية للعلوم الانسانية

م.د.سهى يونس سلمان/ المديرية العامة لتربية كركوك

الخلاصة:

إنَّ برمجةَ الأوْليَّات وإعادة تنظيمها تتطلَّبُ مساحةً من الضَّبطِ والتقييم ؛ للخروجِ بنتائج راعية للمفاهِيم والخُطَّة ، وعليه توصَّلنا في خِضم جولتنا في رحابِ نظريَّةِ المُلاءمة التداوليَّة واشتغالها على خِطابِ ابن جنّي إلى جُملةِ

- – تحاولُ التداوليَّةُ من خلالِ نظريَّة المُلاءمة الإنتقال من الدَّاخلِ النَّصي إلى السياقِ الخارجيّ الثقافيّ لتحقيق مُعالجات استدلاليَّة .

- – تعملُ التداوليَّةُ – في حُدودِ هذه النظريَّة – على التخلُّص من قُيود الإستعمال اللُّغوي في السياقاتِ الدَّاخليَّة قدر الإمكان، والانفتاح على الإدراكِ المَعرفيّ الخارجيّ لتشكيل رُؤية جديدة .

- – إنَّ اللَّواقطَ والأنظمة الدُّخَّل ضِمن السياقاتِ الاسلوبيَّة الداخليَّة تؤسِّسُ لمظاهر الترميز والتشخيص ؛ في حين أنَّ النظامّ المركزيَّ المُعالج للأقوال يُعدُّ الأكثر رواجاً وحضوراً بسبب ابتعاده عن الترميز والعناية بالاستدلال والفحص .

المُقدَّمة

تسعى التداوليَّةُ من خلالِ آلياتِها ونظرياتِها وجِهازها المُصْطلحي الكامِل إلى تعزيز أرصدة الدلالات والمعاني ؛ وتقديم الرُّؤى الفاعلةِ الجديدة بما تتناسب مع المُستجدَّاتِ والتغيُّراتِ التي تطرأُ في ساحةِ المنظُومةِ النقديَّة ، فلِكُلّ نظريَّة مفاتيحها وركائزها التي بوساطتِها تخترقُ المضامينَ والموضُوعاتَ وتُحاولُ تفكيكها وإعادة تجميعها على هيأةٍ فيها الإدراكُ المعرفيُّ والتنوُّع الفكري ، فنظريَّةُ المُلاءمةِ التي هي مدارُ البحث تعملُ على ايجادِ مُقاربة حقيقية للاستدلالِ المعرفي ؛ وذلك عبرَ العنايةِ بالسياقاتِ اللُّغويَّةِ الداخليَّةِ للنَّصِ والإشارة إلى الترميزِ والتشخيص الذي هو مَرمى التركيز فيها مِنْ جهة ، ومُحاولة العنايةِ بالسياقاتِ الخارجيَّةِ في إطارها الثقافيّ ؛ للوصُول إلى مُعالجاتٍ استدلاليَّةٍ غرضها تغيير مَسار الدلالاتِ واعطائها صِبغة معرفيَّة لائقة تسمحُ بزيادةِ الوعي وعدم الاعتماد على المُعطياتِ الجاهزة مِنْ جهةٍ ثانية .

ونتيجة لهذه الأهميَّة راحَ البحثُ يُؤسِّسُ فكرتهُ من خلال الخُطَّة الآتية :

المِحورُ الأول : هُويَّة نظريَّة المُلاءمة : وفيه بيَّنا اتكاءَ النظريَّة على حقلينِ مُختلفين هُما النظريَّةُ القالبيَّة المُنتمية إلى حقل علم النَّفس المَعرفي ، ونظريَّةُ (غرايس) الحِواريَّة المُنتمية إلى حقل فلسفة اللُّغة .

المِحورُ الثاني : دمجُ الاخبار (المعلومات) على وفقِ النظريَّة القالبيَّة : حاولنا هُنا تسليطَ الضوء على اشتغالِ خِطاب ابن جنّي الخاص بشرح شِعر المُتنبي على السياقاتِ اللُّغويَّةِ من الدَّاخل ؛ وذلك عبر دمج الاخبار (المعلومات) من خلالِ الأشعار ، وكذلك دمج الاخبار (المعلومات) من خلال الاخبارِ والحكاياتِ والأقوال .

المِحورُ الثالث: تحوُّلات المَقاصد على وفقِ النظريَّة الحِواريَّة : ركَّزنا في هذا المِحور على العناصر الإشاريَّةِ المُهمَّةِ التي تسمحُ بتسيُّد السياقاتِ المقاميَّة على السياقاتِ اللُّغويَّة ، وهذا يعني

الإنتقال مِنْ مرحلةِ ما يُفهم إلى مرحلةِ ما يُقصد ، وهي المرحلةُ التي تُمثلُ النواة الرئيسة في نظريَّةِ المُلاءمة .

وعلى هامشِ ما تقدَّم يُمكن القول : إنَّنا قدَّمنا رؤيةً جديدةً بشأن شرح ابن جنِّي لشِعر المُتنبي من خلال إحدى نظريَّات التداوليَّة ، آملين من القارىء الكريم التقييم المُناسب ، ومن الله تعالى المُوفقيَّة والسَّداد .

المِحورُ الأول

هُويَّة نظريَّة المُلاءمة

لا يكون الجهازُ المَفاهيميُّ المُصطلحيُّ في أيِّ منظُومةٍ علميَّةٍ أو معرفيَّةٍ جاهزاً للعمل والاعتماد عليه في استحصالِ النتائج ما لم تكتملُ أدواته ونظرياته ، لذا فالتداوليَّةُ ما زالتْ تبحثُ عن كُلِّ ما يزيد من هيبةِ حضورها في الساحةِ اللِّسانيَّة من جهة ، وفي الساحةِ المعرفيَّةِ الاستدلاليَّةِ من جهةٍ ثانية ؛ فجاءتْ نظريَّةُ المُلاءمة لتكون راصداً فعلياً للأقوال بحيث تُرتّبها على وفقِ المُزاوجةِ بين الترميزِ السياقيِّ والاستدلال الخارجيِّ ؛ فهي " نظريَّةٌ تداوليَّةٌ معرفيَّةٌ ، أرسى معالمها كُلٌّ من اللِّساني البريطاني ديردر ولسن d.wilson والفرنسي دان سبربر d.sperber ، وتأتي أهميتها التداوليَّة من أمرين :

– انَّها تنتمي إلى العُلومِ المعرفيَّةِ الإدراكيَّة .

– انَّها ولأول مرة منذ ظُهور الأفكار والمفاهيم التداوليَّة تبيَّن بدقةٍ موقعها من اللِّسانيات ، وخصوصاً موقعها من عِلم التراكيب .

فنظريَّةُ المُلاءمة تدمجُ أذن بين نزعتين كانتا مُتناقضتين ، فهي نظريَّةٌ تُفسِّر الملفوظات وظواهرها البُنيويَّة في الطبقاتِ المَقاميَّةِ المُختلفة ، وتُعدُّ في نفس الوقت نظريَّة إدراكيَّة . " ([1]) .

تدخُلُ التداوليَّةُ في إطارِ هذه النظريَّة حيِّز التمثيل المُزدوج من حيث العمل التنفيذي داخل السياقِ وخارجه في الوقت نفسه ؛ فالنظريَّةُ ترى من وجهةِ نظر سبربر وولسن أنَّ تأويلَ الأقوال في منظُومةِ السياقاتِ يأخذُ بُعدين : أحدهما يتعلّقُ بالترميزِ الداخليِّ عندما تكونُ السياقاتُ وحدةً لُغويَّة مُعبرةً ومُؤثرةً في نقلِ مُحتواها ؛ وهذا ما يتصلُ باللِّسانيات اللُّغويَّة على العموم التي تعتمدُ على حركةِ الأصواتِ وقيمتها التوظيفيَّةِ ومدلولاتها المُختزلةِ وما يبتغيه عِلمُ الأصوات من أصولٍ معرفيَّةٍ مُستنتجة من التلاعُب الصوتي وتوظيفاته ، إلى جانبِ مدلُولات الصياغاتِ التركيبيةِ وصنعة تشكيل الجُمل وتآلفها مع بعضها لاحتواءِ المعنى وتضمينه أبعاداً من المعاني والإشارات ؛ وأخيراً المعاني والمدلُولات المُستخلصة من عمليَّةِ ربط الكلماتِ والجُملِ المُنتظمة في السياقاتِ الأسلوبيَّةِ داخل النَّص بالأفكارِ والآراءِ الموجودةِ خارجه وهذا ما يقعُ على عاتقِ عِلم الدلالة . أمَّا البُعدُ الثاني فيتمثلُ بالعملياتِ الاستدلاليَّةِ التداوليَّةِ التي تكونُ خارجَ الاستعمال اللُّغوي الذي لا

يخضعُ لعملياتِ الترميزِ والتشخيص ، بل للإدراكِ المعرفيّ والتراكُماتِ المعلوماتيَّةِ التي تسمحُ بدمجِ الداخل بالخارج لبناءِ رؤيةٍ جديدةٍ تجعلُ الأقوالَ في تأويلٍ دائمٍ بحسب إيديولوجيَّة المؤوِّل ؛ أي التعامل والعناية بالأقوال التي لا تُفهم بالقواعدِ الترميزيَّة ولا تدخل حيّز كيانها ؛ وهذه تقعُ في الأعمالِ المُتضمّنةِ بالقول والعُنصر المقامي . لذلك فإنَّ توجُّه سبربر وولسن يقضي بأبعادِ التداوليَّة عن مسارِ اللّسانيات قدر الإمكان ؛ والانفتاح على مدياتِ الاستدلالِ المعرفيّ الذي يُفضي إلى دلالاتٍ كثيرةٍ تُغني العمليَّة التأويليَّة وتدفعها نحو التأثيرِ والتغيير ؛ فنحنُ بحسب ذلك أمام تداوليَّة مُكمّلة لنواقص التداوليَّة اللّسانيَّة في بعضِ مظاهر تأويل الأقوال ([2]) .

استندت أعمالُ سبربر وولسن لانجازِ مهام التداوليَّةِ على نظريتين مُهمَّتين تنتميان إلى حقلين معرفيين مُختلفين ؛ الأُولى النظرية القالبيَّة التي تزعَّم (فودور) قواعدها وإشاراتها وهي تنتمي إلى حقل علم النفس المعرفي ، والثانية النظرية الحواريَّة عند بول غرايس والتي تنتمي إلى حقل فلسفة اللُّغة . ومن خلال هاتين النظريتين تم تأسيس بوادر الانفتاح الاستدلالي في تأويل الأقوال ؛ بناء على المَحاور الرئيسة التي اتكأ عليها الناقدين ؛ وهي المحاور التي خدمتْ مسعاهُما لتطوير التداوليَّةِ وجعلها منظُومة مُستقلة بذاتها . انبنت النظرية القالبيَّة على ثلاثةِ محاور مثلت النظرةَ الشاملة والمُتكاملة لكُلّ ما تُريدهُ من المُعالجات الاخبارية للأقوال وهي كالآتي :

1 – مرحلةُ اللَّواقط التي تعملُ على ترجمةِ الادراكاتِ المُباشرةِ مهما كان مصدرها ترجمات مُتعدِّدة تبعاً لتعدُّد وظيفتها في هذا المجال ، وأخيراً ارسال كُلّ ما دخل في حيّزها إلى الدماغ بُغية مُعالجته .

2 – مرحلةُ الأنظمة البعيدة عن المركز (الأنظمة الدّخل) ؛ هذه الأنظمةُ مُهمَّتها الوقوف على المُعالجاتِ المطلوبةِ في الافرازاتِ الناتجةِ من مُعطيات اللَّواقط على اختلافِ اشكالها المرئيَّة والمسمُوعةِ والملمُوسةِ واللُّغويَّةِ المكتوبة وغيرها ؛ للوصول إلى تأويل ملفوظٍ مُعيَّنٍ يُغني مؤوله لما يُريده ؛ ولكنَّها مرحلة لا تخرجُ عن أسوارِ السياقاتِ اللُّغويَّةِ الداخليَّةِ في اللّسانياتِ العامة المُتوزّعة بين عِلم الأصوات والتركيب والدلالة .

3 – مرحلةُ الأنظمة المركزيَّة التي تُعدُّ عماد النظريَّة القالبيَّة والمُحتوى الأكثر عناية لدى سبربر وولسن ؛ والسببُ يعودُ إلى دمجها الإخبار المُتحصل من مرحلتي اللَّواقط والأنظمة الدّخل بالإخبار المخزون في الذاكرةِ التصويريَّةِ بُغية الوصول إلى استدلالاتٍ تداوليَّةٍ غير برهانية . ([3]) ، أي أنَّها مُهمَّةٌ تأويليَّةٌ فريدةٌ من نوعها كونها تشتغلُ على مساحاتٍ عِدَّةٍ في آنٍ واحد ؛ وتتحصَّلُ على رؤىً قابلة للصيرورةِ على أشكالٍ أُخرى لافادةِ الذهنيَّةِ المُتجانسة مع هذه الرؤية من دون غيرها وهكذا ، عندها تبدأُ الفرضياتُ باعلان وجودها المركزي في سياقاتِ الأقوال المُتضمّنة للقول والعناصر الاشارية بطابعها المقامي ؛ وهذا يعني الانتقال بالتأويل من مرحلةِ الخصائص المُقيَّدة إلى مرحلةِ الخصائصِ الشموليَّة ، وهي مُهمَّةٌ تقعُ ضمن مسؤوليَّة النظام

المركزي " وتتحقَّق هذه المُهمَّة بدرجةٍ كبيرةٍ من خلال مُقارنةِ المعلومةِ مع معلوماتٍ أُخرى معروفة سلفاً أو معلومات وفَّرتها في الآن نفسه أنظمة طرفيَّة أُخرى ، كما تتحقَّق نتيجة عمليات استدلالية . ولهذا لا تتدخل هذه العمليات إلاَّ في مُستوى النظام المركزي وفي هذه المرحلةِ النهائيَّةِ فحسب . " ([4]) . وباختصارٍ شديدٍ فإنَّ مرحلتي اللَّوقط والأنظمة الدّخل تأتي أهميتهما التأويليَّةِ من خلال اشتغالهما في ميدان التوظيف اللُّغوي عبر السياقاتِ الاسلوبيَّة ؛ وما تتحصَّل عليه من معانٍ ودلالاتٍ لا يتعدَّى حُدود الفهم في السُّلَّمِ الترميزي المُمسك بقراءةِ الأقوال وتصنيفها ؛ أي دورانها في رحى اللِّسانياتِ المُقيَّدةِ بالضوابطِ اللُّغويَّةِ والمفاتيح السياقيَّةِ الداخليَّة ، في حين أنَّ مرحلة الفصل الرئيسة التي تُناط للنظامِ المركزي المُعالج للأقوال تُعدُّ الأكثر رواجاً وحضوراً بسبب الخدمات التي تُقدِّمها بعد الطاقاتِ التأويلية الكبيرة المُنزاحة عن تلك المُتعارف عليها في المظاهر الترميزيَّة ؛ فهي تبتعدُ عن المظاهر الترميزيَّة بعد أخذ ما يُناسبها منها وتنحو منحى الاستدلال والفحص ؛ ممَّا يعني أنَّها تُؤسِّسُ لنفسها تداوليَّة استدلاليَّة قائمة على الادراكِ المعرفيِّ المُتخالفِ مع تداوليَّةِ اللِّسانيات اللُّغويَّة .

كما استندت أعمال سبربر وولسن كذلك إلى نظريَّة غرايس الحواريَّة التي تقبعُ في جسد فلسفة اللُّغة ؛ ولاسيما تطويرهما لفقرة المُلاءمة (المُناسبة) في نظام غرايس وجعلها نظريَّة مُتكاملة لها أبعادها وتقاناتها ، فهي قد اختزلت الفقرات الأُخرى التي عوَّل عليها غرايس (الكم ، والكيف ، والطريقة) ؛ واكتفت بما تُولِّدهُ من مُناسباتٍ تدخلُ حيز التنفيذ في المُناسبة الاستدلاليَّة التي هي مدارُ العناية والقبول ؛ واستناداً إلى هذا التكييف فقد أشار كِلاهُما إلى أهميَّةِ المقصد في تقييد المُحتوى فقسَّماه على قسمين هما : "

أولاً : المقصد الإخباري : أي ما يقصدُ إليه القائل من حملٍ لمُخاطَبِه على معرفةِ معلومةٍ مُعينة .

ثانياً : المقصد التواصلي : أي ما يقصدُ إليه القائل من حملٍ لمُخاطَبِه على معرفةِ مقصده الإخباري " . ([5]) . ولكي يُحقِّق المقصد التواصلي مُبتغاه في الحضورِ والتأثير ينبغي عليه التحرُّر من تبعيَّة الارتباطاتِ السياقيَّةِ بكافةِ أشكالها ، فالسياق بحسب هذه الخاصيَّة لم يعد نافعاً في مُحتواه بسبب عدم التسليم بمُدخلاتهِ ومُخرجاتهِ ومُحتوى دلالاته ؛ بل أنَّ السياقَ الذي تبتغيه نظريةُ المُلاءمة يُشترطُ بناؤه تبعاً لتوالي الأقوال ؛ وما ينتج عن ذلك من فرضياتٍ سياقيَّةٍ تكونُ النواة المُسيطرة على مُجريات التواصل ، وهي في الأصل تستمدُّ هُويتها من ثلاثةِ مصادر – كما أشار إلى ذلك مسعود الصحرواي – هي : "

1 – تأويلُ الأقوال السابقة : فالقضايا التي نحصل عليها مُباشرةً بعد الالتفات إلى أوَّل الكلام وتأويله تُخزن في الذاكرةِ التصويريَّة ، حيث تُمثل جزءاً لا يتجزأُ من سياق تأويل الأقوال المُستهدفة في المُعالجة ، فلا بُدَّ من ردِ آخر الكلام على أوَّله .

2 – المُحيطُ الفيزيائي : قد يشملُ السياق أيضاً كُلَّ تمثيل قضوي انبثق من المكانِ الذي جرى فيه التواصل ، حيث إنَّ الجهازَ الادراكي للمُتكلِّم قد يتمثل خصائص الأمكنة بشكلٍ مُباشرٍ أو غير مُباشر .

3 – ذاكرةُ النظام المركزي : وتحتوي ذاكرةُ النظام المركزي على معلوماتٍ مُختلفةٍ عن العالم نستخدم بعضها في السياقِ التأويلي . " (6) . وتُمثلُ ذاكرةُ النظام المركزي المُعطى التواصلي الذي يتسيَّد على ملامحِ المُخرجاتِ الدلاليَّة الأُخرى المُتولِّدةِ من المحطتين اللتين تسبقهما ؛ كونهُ يخزن ثلاثة أنماطٍ من المعلومات هي :

1 – المدخلُ المنطقي : وهو الذي يتضمَّن معلومات عن بعض العلاقات المنطقيَّة .

2 – المدخلُ المعجمي : وهو الذي يتضمِّن جميع المعلومات التي تخُصُّ العُنصر المعجمي ، وهو ما يعني وقوعه ضِمن دائرة النحو التوليدي .

3 – المدخلُ الموسوعي : وهو الذي يضمُّ بين جنباته المعلومات التي نبنيها أو نجمعها حول الأحداثِ والموضوعاتِ وغيرها من الخصائصِ التي تقترنُ بمفهومٍ خاصٍ نُسلِّمُ بمُعطياته . (7) .

وعلى وفق ما تقدَّم تتضحُ الصورةُ جليَّة بأنَّ التواصلَ الاشاري مُتعدِّد الاتجاهاتِ والأقطاب ؛ وهو مُتجذِّرٌ في المفاهيم التي تنتجُ المقاصد الغنيَّة بالإثارة ، فهو لا يتقيَّد بمساحة السياقاتِ اللُّغويَّةِ التي تتضمنُ الترميز الخاص للأقوالِ وما فيها من ملامح خاصة ، بل يتعدَّى ذلك إلى فضاءاتٍ خارجيَّةٍ تُعطيه لمسة الشمول والسيطرة على مُجريات الفرضياتِ لتلك الأقوال وغيرها ، بل يذهبُ إلى أبعد من حُدودِ السياقاتِ ليصل إلى مُقارباتٍ فكريَّةٍ في منظُومة التواصل المُتعدِّدة الصور ، أي أنَّ التواصلَ الاشاري الاستدلالي " لا ينطبق على الأقوالِ وحدها بل على كُلِّ تواصلٍ مهما كانت صورتهُ ، ومهما كان الشكلُ الذي يُوظِّفه ، ومع ذلك فإنَّ الأقوال – كُل الأقوال– تنتمي إلى التواصل الاشاري الاستدلالي ونتائجه . وبما أنَّ مفهومَ المُناسبة يصدرُ عن هذا التواصل فإنَّه يعني ضرورة كل الأقوال ، وبوجه أعم يعني جميع أعمال التواصل الاشاري الاستدلالي ، فالأقوالُ ليستْ سوى جُزء من هذه الأعمال . " (8) . وهذه أهم مِيزة تناولتها التداوليَّة وعملت على تطويرها ، لأنَّ السياقَ لا يتحدَّد بالثوابت من وجهةِ نظرِ التداوليَّة بل الذي يُعطيه قيمته تلك المُتغيِّرات التي تُولدُ نتيجة توالد السياقاتِ المقاميَّة في كُلِّ موقفٍ وحدث . وهذا ما يدفعنا إلى دمجِ مُعطيات مُتضمِّنات القول مع نظريَّةِ المُلاءمة لتكون الصورة أكثر وضوحاً وتأثيراً ، إذ تنشطرُ تلك المُتضمِّنات إلى الافتراض المُسبق والعناصر الاشارية التي تعملُ ضِمن آليَّة الاستدلال لا الترميز .

يُعوِّلُ التداوليُّون كثيراً على الافتراضاتِ المُسبقةِ كونها تُمثلُ المفتاحَ الرئيس لعمليةِ التواصل المعرفي بين الناس ، فالتداوليَّةُ تُؤمنُ بأنَّ توجيه المُتكلِّم لأفكارهِ ورميها صوب السامع قائمٌ على ايمان المُتكلِّم بامتلاكِ السامعِ معلومات تؤهِّله لفهم قصديته ، اذ لا ينجح الحوارُ إذا ما كانت

قنواتُ المعرفة مؤصدة بوجه السامع ؛ لأنَّ عملية التأثير والتأثر وما ينتجُ عنها من تبادُلٍ للمعلوماتِ والخبراتِ مُهمَّة في إحداث التواصل ، ولتوضيح المسألة نعرضُ هذا المثال :

إنَّه في سياقٍ كلاميٍّ تواصليٍّ مُعيَّنٍ يتحاور (أ) مع (ب) فيتمخضُ عن الحوار السؤال الآتي :

كيف حال زوجتك وأولادك ؟

فالافتراضُ المُسبق هنا هو أنَّ الشريك (ب) مُتزوجٌ وله أولاد ، وكلاهما (أ) و(ب) يرتبطُ بعلاقةٍ تسمحُ بعرضِ هذا السؤال ، وبناءً على ذلك تكون الافتراضات المُسبقة ضروريَّة جداً في عمليةِ التواصلِ الكلامي والابلاغ من وجهة نظر التداوليين . ([9]) . ويُفهم من خلال ما تقدَّم أنَّ التداوليَّة تعتمدُ على السياقاتِ الكلاميَّةِ التي تكون فيها الألفاظُ والتراكيبُ دالة على مُحتوى مفهومٍ يشترك به المُتخاطبين ، ولا يُمكن الحيادُ عن هذا المبدأ مهما حصل ويحصل ؛ لأنَّ بؤرة التشارُك والتصالُح المعرفي تشترطُ مقاربات فهميَّة في عملية التحاور ؛ فالافتراضُ المُسبق لُعبة مُحاكة لدمج دلالات قناتين معاً في بوتقةٍ واحدةٍ تؤدي دوراً في رفدِ التواصلِ وجعله سريع التفاعل والخدمة ، ولكنَّ هذه اللُّعبة تبقى تدور في ساحةِ السياقاتِ التركيبيَّة الداخليَّةِ وما تفرزهُ من إشاراتٍ وايحاءاتٍ تكونُ مُتقبَّلة وواضحة ؛ لتشارُك طرفي الخطاب بأنظمةِ التعامل المُتعارف عليه ؛ أو ما يُمكن تسميتها بالافتراض العرفي ، إذ لا مجال للتأويلاتِ الخارجيَّةِ التي تتكئُ على القصديَّةِ الناشئةِ من السياقاتِ الاجتماعيَّةِ التي تحيل إلى آليةِ ضبطٍ جديدةٍ تجعل من الدلالاتِ تتجه نحو مساراتٍ أُخرى مُخالفة لمُحصلة السياقاتِ التركيبية الأولى ؛ لذا " فالافتراضُ الذي منشؤهُ العُرف هو ذلك الخطابُ التداوليُّ ذو المعنى المُحدَّد الذي يُصاغ في مقامٍ مُحدَّدٍ وضمن ظروفٍ انجازيَّة مُناسبةٍ بالنظر إلى عناصر السياق ، كقولنا مثلا : لديَّ ثلاثةٌ من الأولاد المُتعلمين ، فالافتراض الذي ألمح إليه الخطاب جاء بالاعتمادِ على مرجعيَّةٍ ضمنيَّةٍ دالةٍ وبصيغةٍ إفاديَّةٍ مُحدَّدة ، وهو أنَّ المُخاطب مُتزوجٌ ولديه أسرةٌ تربويَّةٌ وتعليميَّةٌ ناجحة ، فيكون مِعيار هدف الخِطاب قد توصَّل لنسبةٍ تواصليَّةٍ مفهومةٍ ومُقدَّرةٍ في ذهنِ المُتلقي يستطيع كشف دلالة كلام المُرسل واستبيان مغزاه بسهولة . " ([10]) . أي أنَّ ظُروف التواصل السياقي في ظلِّ هذا الافتراض قياسيَّة ومُنتظمة ؛ وهي تنطلقُ من ظروفٍ مقاميَّةٍ مُتجاورةٍ قد أُسِّست على مبدأ التصالُح والهُوية التبليغية ، فالحوارُ بين الطرف (أ) والطرف (ب) على سبيلِ المثالِ وفي أيِّ موضوعٍ ينبغي له أنْ يُؤدلج على وفق مُتطلبات ثقافة الأثنين ؛ لتأتي مُقاربات التشارُك التداولي أُكلها عبر دفعِ اللَّبس وترحيل النَّص كلِّه إلى مدياتِ الدلالة غير المُبلَّغة ، كونها حصيلة دارجة لا تحتمل التأويل والقصديَّة ، فعند " كُلِّ عمليةٍ من عملياتِ التبليغِ ينطلقُ الأطرافُ (المُتخاطبون) من مُعطياتٍ أساسيَّةٍ مُعترف بها ومعروفة ، وهذه الافتراضات المُسبقة لا يُصرَّح بها المُتكلمون وهي تُشكِّلُ خلفية التبليغ الضروريَّة لنجاح العملية التبليغية ، وهي مُحتواة في

القولِ سواء تلفَّظ بهذا القول اثباتاً أو نفياً . وهكذا لو قُمنا باختبار قول ما – ويدعى هذا الاختبار اختبار النفي – فإنَّ الافتراض المُسبق يظلُّ صحيحاً :

- أغلق النافذة
- لا تغلق النافذة

يتمثلُ الافتراض المُسبق ههنا في كون النافذة مفتوحة . " ([11]) .

هذا الجهازُ المُصطلحيُّ الخاصُ بالتداوليَّةِ لقُربه من مفاهيم كثيرة ، وتشارُكه مع عناصر أُخرى قريبة من مُحتواه دفع عدداً من النقاد والدارسين إلى الحذرِ في تفصيل مضامينه ومُتطلباته ، وعليه وجدنا أنَّ محمود احمد نحلة قد نبَّه على ضرورةِ الحذرِ من الخوض في غماره لسببين هما : " أولهما كثرة الأبحاث التي تناولتْ هذا الموضوع في إطارِ نظريات مُختلفةٍ ووجهات نظرٍ مُتباينة ، على نحوٍ لم يتح لأيّ جانبٍ من جوانب الدرس التداولي ... فليس بمُستغرب أنْ يجد الباحث في هذا الموضوع الرأي ونقيضه ، فضلاً عمَّا يكتنف بعض هذه الآراءِ من غُموضٍ والتباس . والثاني : التمييز الواجب بين الاستعمال العام للَّفظ، الافتراض السابق في لُغة الحياة اليومية ، والاستعمال الاصطلاحي في الدرسِ التداوليّ الذي هو أضيق مدى من الاستعمال العام " ([12]) .

كما تُعدُّ العناصرُ الاشاريَّة مُهمَّة في الحاضنةِ التداوليَّةِ لما تُقدِّمهُ من خدمةِ التواصُل الكلامي ؛ ويتمثل ذلك في كون الكلمات والجُمل والعبارات اللُّغويَّة تعتمدُ اعتماداً كبيراً على السياق الذي تقبعُ فيه ، إذ لا معنى لها إلاَّ في ضوءِ هذا الانتماء وعند ذلك يحدثُ التغير ويُكسر طوق الثبات . ولكن نتيجة لعنايةِ الباحثين بهذا الجانب ظهرَ عِلمُ الدلالة المقامي الذي تتلخَّص مُهمَّته بتفحُّص السياقات واستخراج المقامات التواصليَّة جرَّاء الاشارات ، وعليه أصبحت العناصرُ الاشاريَّة مجالاً مُشتركاً بين علم الدلالة والتداوليَّة ؛ وهذا يعني الانتقال من السياقِ الداخليّ المُستندِ إلى الصياغةِ اللُّغويَّة وما فيها من دلالاتٍ مُتفقة بين المُتحاورين إلى السياقِ المقاميّ الذي يتعاملُ مع الأنظمةِ الفكريَّةِ المُجتمعيَّة الخارجيَّةِ وتكونُ القصديَّة المُبنية على التأويل مدار فلسفته ، فهُنا يأخذُ السياقُ توجُّهاً جديداً يحملُ لواءَ الصيرورة والتحويل ؛ من حيث اعطاء الجُمل تأويلات خارجة عن المضمون اللُّغوي بهدف تمكين الدلالات من اختراق أُحاديَّة المعلومة التي تتسلَّلُ إلى ذهنيةِ المُتلقي وإعادة تدويرها في رحى التأقلُمِ والتطويع ؛ للوصُولِ إلى جُملةٍ من المعاني الجديدة التي تخدم في النهايةِ العمليَّة الحواريَّة ببُعدها التداولي . وعليه فالخِطابُ المُتشكِّلُ على وفق هذه الخاصية هو " ذلك الخِطابُ الذي ينفتحُ فيه التأويلُ على مدياتٍ استعماليَّةٍ مُتعدِّدة ، حيث المعاني المُضمرة من قبل المُتكلِّم عندما يتفوَّه بمثل هذا الخِطاب أو ذاك في سياقهِ القصديّ الغرضي ، والدلالات الاضافيَّة التي يستنتجها المُتلقي من مضمون الكلام المُتفوّه ، ممَّا يؤكد – أي هذا النوع من الافتراض – أنَّ وحدة التحليل في التداوليَّة هي

الوظيفة التي ينطلقُ منها النَّص أو الخِطاب ، والقدرة التواصليَّة التي تصطبغُ بها عناصره ومكوناته . " ([13]) . أي أنَّ المعاني ستكونُ مُنشطرةً على نفسها ومُتوالدةً في الوقت نفسه ؛ وذلك بحسب الظروف الخارجيَّة التي تسمحُ للمُتلقي باستنتاج إضاءاتٍ تنويريَّةٍ مُتعدِّدةٍ تؤهِّلهُ لاختزال المُماثلاتِ والمُقاربات وتهيأت ما في الجُعبة التأويليَّة من معانٍ ومدلُولاتٍ مُكمِّلة لما قد يتعارفُ عليها ، فهناك جُملٌ كثيرةٌ تبُثُّ إشارات عِدَّة في مُنعطفٍ واحد ؛ ومثالُ ذلك أنَّ جُملة (سيهطلُ المطرُ مساءً) تنحرفُ برؤى المُتلقي إلى قُصارى الجهد لتوضِّح مجالات الاستعمالِ المُتولِّدة منها ؛ فهي تتضمَّنُ أبعاداً احتماليَّة مُتقاربة الجدوى ومُتباعدة الفحوى والمُحتوى ؛ فالدلالةُ العامة بحسب السياق اللُّغوي هي استعلام وقت المطر الذي سيسقُط وهو المساء ؛ في حين أنَّها في زاويةِ التعدُّديَّةِ تدفعنا لاحتمالاتٍ تأويليَّةٍ فيها القصديَّة والتجزأة ؛ فنقولُ رُبَّما هي تحتملُ عدم خُروجنا في المساء لأمرٍ جَللٍ سيحصل ، أو رُبَّما علينا اغلاق النوافذ كي لا يدخل المطر إلى المنزل ، أو رُبَّما علينا قضاء حوائجنا خارج المنزل والانتهاء من ذلك قبل المساء ، أو رُبَّما علينا إلغاءُ السفر أو التعجيل بالسفر قبل هذا الموعد ، أو رُبَّما علينا إلغاءُ الزيارة المُتَّفق عليها لمنزلِ أحد الأصدقاء ، أو هي إشارةٌ إلى احتماليَّة جمال المطر في المساءِ نتيجة السكون والهدوء ، وغيرها من التأويلاتِ والاحتمالاتِ القصديَّة التي تدفعُ باتجاه مُمارسة فِكرة التواصُل التداولي الذي يقضي بأهليَّةِ الخِطاب واستعداده لزيادة المعاني ، وعلى وفق هذه الأهميَّة أصبح الخِطابُ مُتطلباً لعناصر إشاريَّة هدفها زيادة اللُّحمة التداوليَّة التي تعملُ على فرزنةِ مُكنوناتِ الذات وسحب وعيها نحو إعادةِ التشكيل والبناء ، لذا فقد أجمع أغلب الباحثين كما أشار إلى ذلك محمود احمد نحلة على أنَّ الاشاريات خمسة أنواع هي " :

1 – الاشارياتُ الخاصة : وأوضحها بالاستدلال هي الضمائرُ الحاضرة المُتعلِّقة بالمُتكلِّمِ ، مثل (أنا ، نحن، وغيرهما من الضمائر) .

2 – الاشارياتُ الزمانيَّة : وهي كلماتٌ تدلُّ على زمانٍ يُحدِّدهُ السياقُ بالقياس إلى زمانِ التكلُّم ، فزمان التكلُّم هو مركزُ الإشارة الزمانيَّة في الكلام .

3 – الاشارياتُ المكانيَّة : وهي مثل الزمانيَّة ولكنَّها تدلُّ على المكان .

4 – اشارياتُ الخِطاب : وهي اشارياتٌ لا تحيل إلى مرجعٍ بل هي التي تخلقُ المرجع ، وقد تلتبس اشاريات الخِطاب بالإحالة إلى سابقٍ أو لا حق ، ولهذا اسقطها بعض الباحثين من الاشاريات .

5 – الاشارياتُ الاجتماعيَّة : وهي الفاظٌ وتراكيبٌ تُشيرُ إلى العلاقةِ الاجتماعيَّةِ بين المُتكلِّمين والمُخاطبين من حيث هي علاقة رسميَّة أو علاقة أُلفة ومودَّة ؛ من ذلك صيغ التبجيل في العلاقة الرسميَّة ، مثل جنابك ، سعادتك ، معالي الباشا ، وغيرها . وتُعدُّ الاشارياتُ الاجتماعيَّةُ من المجالات المُشتركة بين التداوليَّة وعلم اللُّغة الاجتماعيَّة " ([14]) .

هذه الاشاريات باختلافِ أصنافها تنطلقُ من تلك السياقات التي يكونُ فيها المقام الرائد الأول في الاستنتاج والتوسُّد على أُسسِ الاختيارِ والتموضع في خندقِ التغيير ؛ لاعطاء المضامين جوهر التجديد المُتضمِّن التأثير وتحسين الأداء ، لذا " يُشكلُ المقامُ إذن مقولة أساسيَّة في كُلِّ دراسةٍ لعمليَّة التبليغ ، غير أنَّه ليس سهلاً دائماً حصر جميع العناصر التي يُمكن أنْ تشتملَ عليها ، ذلك أنَّ هُناك بعض العناصر – وبخاصةٍ النفسيَّة – صعبة الحصر ، ويجب أثناء البحث التجريبي التقابُلي الاعتداد بمُختلفِ تقديرات appreciation الأفراد ومدى إدراكهم للمقام ، في الخلاصة نقول : إنَّ المقامَ هو الإطار الذي يحصل في صُلب التفاعل ؛ وفيه كذلك تنتجُ الأقوال وتنجزُ المقاصد بواسطة أفعال الكلام ، وهذه الأقوال تتوقف على العوامل الخاصة بالمُتكلِّمين (العوامل الداخلية) والعوامل التي هي خارجة عنهم ، وهذه العوامل جميعها تُشكِّل مُتغيِّرات ariables . " ([15]) .

وعلى هامشِ ما اتضح لنا بشأنِ عمل نظريَّة المُلاءمة وجدنا أنَّ خِطاب ابن جني (392 هـ) في شرحهِ لشعر المُتنبي فيه ملامح هذه النظريَّة على نحو واسع ، فالشروحاتُ الشعريَّةُ ميدانٌ رحبٌ يسمحُ بتداخل فضاءاتٍ كثيرةٍ بهدف تضافر الجهُود لولادة مغانم دلاليَّة واستحصال معانٍ جديدة كانت غائبة عن الحضور والتواجد ، وتتمثلُ الفضاءاتُ بالسياقاتِ اللُّغويَّة ، والتوجيهات الإعرابية ، والاستدلالات الصوتيَّة ، والاتكاء على الأخبارِ والأقوالِ المأثورة ، والقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشواهد الشعريَّة وغيرها من الفُنون والأجناس التي تدفعُ باتجاهِ ترصين الخِطاب وتقويته بُغية الإفادة منه في عمليةِ التأثيرِ في المُتلقي . وعليه فـ " مصادر ابن جنِّي في شرح الدِّيوان هي مصادرهُ نفسها في مؤلفاتهِ الأُخرى ، وأسلوبهُ في هذا الشرح هو عينُ أسلوبه في كُتبه الأُخرى ، ذلك أنَّ ابن جنِّي يُقدِّم وجهة نظرهِ ثم ينبري للدفاع عنها حاشداً لذلك كُلَّ ما لديه من وسائل ، وهي كثيرةٌ وغنَّية ، تجري في سهولةٍ ويُسرٍ بأسلوبٍ واضحٍ يتَّشحُ بالطلاوةِ والعذوبة ، ولكنَّ ابن جنِّي كان يعرفُ بعبقريتهِ النادرةِ أنَّ التعامُلَ مع ديوان شعرٍ هو غير الخوض في ميادين أُخرى من ميادين المعرفة التي أتقنها ؛ بحيث خاض بعمقٍ وتمكَّن في شتى عُلوم اللُّغة والقرآن . " ([16]) ، لأنَّ قراءةَ الشعر وشرحه وتحليله تتطلَّبُ ثقافة عاليَّة تؤهِّل الشارحَ للدخول في متاهاتهِ وليِّ ارهاصاتهِ ومُحاولة السيطرة عليها قدر الامكان ؛ للخُروج بمُقارباتٍ واقعيَّةٍ مفهومةٍ يستطيعُ المُتلقي ادراك مُتطلباتها وتوجُّهاتها وأخيراً نسج الأفكار على منوالها ، وهذه الخصائصُ كانت مُتأصِّلة في عقل ابني جني وقد ترجمتْ في امكاناته الفريدة التي استبانات في خِطابهِ الخاص بشرحِ شعر المُتنبي ، فهو خِطابٌ استمكن من الشعرِ وفسَّر الغريب والمُستغلق منه بروحِ الفاهمِ والعارفِ بخبايا المعاني الخفيَّة التي كان يُضلِّلها المتنبي بين طيَّات سياقاته الأسلوبية ، ومع كُلِّ تلك الطاقات اعترف ابن جنِّي أنَّه كان يُحاور المُتنبي كثيراً فيما يتصل بشعره ؛ فيقومُ الأخير بتفسير ما تعسَّر على ابن جنِّي فهمه ، أو الخُروج منه بمفاهيم

جديدة تطوّر خِطابه وتجعلهُ على تماسٍ مُباشرٍ مع المُتلقي التوّاق إلى الرؤيةِ الثاقبةِ والمُحدَّدة أو حتى تلك المُتعدِّدة ، فالغايةُ هي ذاتها من حيث الاستلهام والاستمتاع ، وقد أشار مُحقِّق شرح الفَسْر باستعانة ابن جنّي بالمُتنبي لشرحِ بعض جوانب شعره إذ قال : " وإذا كان أبو الفتح هو أوّل شارحٍ لديوان المُتنبي ؛ فمعنى ذلك أنَّه لم يأخذ عن غيره ، ولم يتَّكىء على سواه ، وأنَّه أعمل فكره وخبرته في استجلاء أفكار الشاعر بمؤلَّفٍ خاصٍّ بها ، ولم تكُن مصادر أبي الفتح سوى أدوات استعان بها على تحقيق غايته ، ولكنَّ المُتنبي نفسهُ كان يشرحُ من معانيه ما غمض ، ويُعلِّل كثيراً من الأساليب التي لجأ إليها ، ويُدافع عن أفكارهِ وتجاوزاته ، ويُوضحُ كثيراً من الحوادث التي كانت دافعاً لهذه الفكرة أو تلك ؛ مُعتمداً على ما أوتيه هو الآخر من ثقافةٍ واسعةٍ وعبقريَّةٍ نادرة ، وقد أفاد ابن جنّي من تلك الشروح التي ذكرها المُتنبي وأودعها في (الفَسْر) ، وهي شروحٌ وتوضيحاتٌ واستنتاجاتٌ كان أبو الفتح السَّبب في أغلبها ؛ لما كان يفتح من أبواب الحوار مع الشاعرِ أثناء قراءة الديوان عليه . " ([17]) . وحتماً ستكونُ الرُّؤى المُستحصلة من المُجانسةِ الفعليَّةِ بين قُطبي التوصيف (المُتنبي وابن جنّي) شديدة الأثر في المُقابل ، ووطأتها أكبر في التمثيل ، واحتماليَّة تجذُّرها في العُقولِ وقبول انطباعاتها حاصلة وواقعة لا مَحالة .

ولكي لا ندخل في تفصيلاتٍ غير مُجديةٍ وتفرُّعاتٍ جانبيَّةٍ ينبغي علينا الوقوف على ملمحينِ بارزينِ تشكَّلا في خِطاب ابن جنّي في إطارِ نظريَّة المُلاءمة ؛ أحدهما يعملُ ضِمن النظريَّة القالبيَّة بنزعتها المعرفيَّة ؛ وتمثل ذلك بدمجِ المعلوماتِ المُستحصلةِ بالمعلوماتِ المخزونةِ في الذاكرةِ واجراء تفاعلات بينهما للوصولِ إلى مُستجدَّاتٍ مُغايرةٍ ولكنَّها شموليَّة ومقبولة ، والثاني يعملُ ضِمن مواصفات النظريَّة الحِواريَّة عند (غرايس) بنزعتها اللُّغويَّة ، ويتمثلُ عملها بجعل المُتلقي يستحصلُ على المعلوماتِ الأوليَّةِ ثم رفده بمعلوماتٍ جديدةٍ وتحفيزه لمعرفة المزيد بنفسه . لذا ستكونُ الدراسةُ على وفق هذين الملمحين .

المِحورُ الثاني

دمجُ الاخبار (المعلومات) على وفق النظريَّة القالبيَّة

إنَّ الانتقالَ من مرحلةِ السياق اللُّغوي والتأقلُم داخل الأساليب إلى مرحلةِ التضمين الفكريّ التي تتأتَّى من العنايةِ بالسياقاتِ المَقاميَّة العاملةِ خارج أسوار السِّياق اللُّغوي ، يتطلَّبُ وعياً مُنضبطاً قادراً على اختزالِ المُستجدَّاتِ الطارئةِ والمدرُوسةِ في الوقت نفسه ؛ والعمل على صياغةِ صيرورةٍ ناجحةٍ قُصارى الفِكرة فيها هي جعل الإدراك يعي النسجَ المحبوك الذي يفرزُ الاستدلالات المعرفيَّة ويؤطِّرها في قوالب التحكُّم والسيطرة ، إذ لا تأتي الاستدلالات – ولاسيما

تلك التي تكون مُؤدّية لغرضها – أُكلها ما لم تكُن خاضعة لسلسلةٍ مُتواليةٍ من العملياتِ الناجزةِ والتي يُخطَّط فيها للأهداف تخطيطاً سليماً على نحوٍ يدفعُ اللَّبس ويرتقي إلى مُستوى التوصيف المُنتِج . وعليه فإنَّ دمجَ المُستحصل الآني مع المُتحصَّل القديم المخزون في الذاكرةِ يُمثلُ البؤرة الغنيَّة بالمعاني والدلالات ، فالمُتلقي وهو يتعاملُ مع نصّ ابداعيّ كخطاب الشرح الشعري عند ابن جنّي يقفُ وقفات كثيرة ويتساءل مرَّات ومرَّات عن فحوى المعاني التي فُرشت أمامهُ كفرشةٍ معرفيَّةٍ فيها المكونات الصريحة والضِمنية معاً ، وهذا يعني الابتداء من نُقطةِ الصفرِ أي التحرُّك في نطاقِ المدخلين المنطقي والمُعجمي في وقتٍ واحد ؛ للحصول على معلوماتٍ أوليَّةٍ من السياقاتِ اللُّغويَّة والتفاعل معها بدرجةٍ مُعينةٍ من القناعة ؛ ثم السعي الحثيث لربط ما تمَّ فهمه في الإخبار المُتحصَّل الآني مع تلك المعلوماتِ المخزونةِ في الذاكرةِ للخُروج باستدلالاتٍ غير بُرهانيَّة مُهمَّتها تغيير الرؤى والانطباعات وفسح المجال لتكرار العمليَّة للوصول إلى أفضل المغانم الدلاليَّة وأكثرها اثارةً وتأثيراً في الآخرين ، وهذا يعني التحرُّك ضِمن مِحور المدخل الموسُوعي الذي يشملُ كُلَّ الموضوعاتِ مجموعة على اختلاف انتماءاتها ومُرتكزاتها .

وفي ضوءِ هذا التحوُّل وجدنا أنَّ خِطاب ابن جنّي في شرحهِ لشِعر المُتنبي اعتمد في تقديم مدلولاتهِ ومعانيهِ على دمج المعلومات ، فهو يقومُ بعد عرضه لشِعر الشاعر باعطاء شرحٍ عامٍ في أصلهِ غير كافٍ من حيث الفِكرة ، لذا يسعى جاهداً في خطوةٍ أُخرى لربط هذا الشرح بأشياءٍ ثانيةٍ كأنْ تكون التفسير عن طريق الشِعر نفسه ، أي يُعطي شواهدَ شعريَّة كثيرة تُشابه نموذج المُتنبي وتقاربه بالمضمونِ والتشكيلِ من شعر المُتنبي نفسه ومن شعرِ الشُّعراء الآخرين هذا من جهة ، ومن جهةٍ ثانيةٍ يُعزّزُ شرحهُ بالمعارفِ العامةِ الأدبيَّةِ والفكريَّةِ كالاستعانةِ بالأقوالِ المأثورةِ والأمثالِ والحِكم وغيرها ؛ لترسيخ المفاهيم والأفكار على النحوِ الذي يرتضيه لخطابه . ولبيانِ ذلك بصورةٍ جليَّةٍ يُمكن تقسيم العمل بحسب هذه الثنائية :

أولاً : دمجُ الإخبار (المعلومات) من خلالِ الأشعار

يُحاولُ ابن جنّي كغيره من الشارحين الاستعانة بكُلّ ما له شأن في تعضيدِ ما يشرحهُ ويُركز عليه ، لأنَّ الخطوطَ المعرفيَّة التي يُدلي بها وهو يُحلّل هذا البيت أو ذاك – ولاسيما كشعر المتنبي الذي هو حمَّال أوجهٍ وتتماهى فيه المعاني – لا تكفي في أغلب الأحيان لإيصال الفِكرة إلى الآخرين ؛ ممَّا يتطلَّبُ ذلك رفد المُستحصل من السياقِ بما يُجانسهُ فكرة ودلالة ؛ وهذا ما يقعُ على عاتقِ المخزون التصويري الموجودِ في الذاكرة ، إذ يبدأ المخزونُ بعمليةِ ربط المُستحصل الآني بما موجود لديها في الموضوعِ نفسه ودمجهما معاً لتكون الصورة أكثر وضوحاً وقُرباً ؛ وأكثر المُقاربات التوصيفية في هذا المَنحى تأتي عن طريق الاعتمادِ على شعرِ الشاعرِ وغيره من الشُّعراء لتعزيز فِكرة الشرح ، ولهذا تجد أنَّ هناك مجموعة من الشواهد الشعريَّة تدخل في ساحةِ الشرح لتؤكد على الانطباع الذي يلحُّ عليه الشارح في تحليله ، بل تُعينه كثيراً لجعل

خِطابه الشرحي يتَّسم بالمرونةِ والتكثيفِ الدلالي في وقتٍ واحد ، وهناك أمثلةٌ كثيرةٌ انتثرت على أديمِ شرح ابن جنّي في كتابه (الفَسْر) نذكرُ منها قول المُتنبي " :

إنْ كانَ قد مَلَكَ القلوبَ فإنَّهُ مَلَكَ الزَّمانَ بأرضهِ وسَمائهِ

أي ليس هذا الحبيبُ كسائرِ الأحبَّةِ والمعشوقينَ ، إنَّما يُحبُّ هذا لجلالةِ قَدرهِ وسمو أمرهِ ، فقد ملك القلوبَ وملك الأرض ، أي إذا كان قد ملك الأرض والسَّماء فغيرُ عجبٍ أنْ يملك القلوبَ ، ثمَّ بالغ بذكرِ السَّماءِ كأنَّهُ من قولِ الفرزدقِ :

أخذنا بآفاقِ السَّماء عليكمُ لنا قمراها والنُّجومُ الطَّوالعُ

وهذا مثلُ قولهِ أيضاً بعينه :

فو كانَ ما بي من حبيبٍ مُقنَّعٍ عذرتُ ولكن من حبيبٍ مُعمَّمِ

فجعله حبيباً له على الوجه الذي ذكرتُ ، وقريبٌ منه قولُه أيضاً :

وأهوى من الفِتيانِ كلَّ سُمَيذعٍ نجيبٍ كصدرِ السَّمهريِّ المُقَوَّمِ

خَطَت تحته العيسُ الفلاةَ وخالطتْ به الخيلُ كبَّات الخميسِ العرمرمِ

يقول : إنَّما أهوى من هذه صفتُه ، أوَلا ترى إلى قوله

وما سكني سوى قَتلِ الأعادي فهل من زورةٍ تشفي القُلوبا ؟

وإلى قولهِ :

مُحبٌّ كنى بالبِيضِ عن مُرهفاتهِ وبالحُسنِ في أجسامهنَّ عنِ الصَّقلِ

وبالسُّمرِ عن سُمرِ القنا غيرَ أنَّهُ جَناها أحِبَّائي وأطرافُها رُسْلي

وهذه طريقةُ للشُّعراء معروفةٌ وسنَّةٌ منهم مألوفةٌ . " ([18]) .

يُحاولُ ابن جنّي في هذا النَّص – وغيره الذي يحملُ النهج نفسه – استدراج المُتلقي إلى نُقطةِ المُقارباتِ الفكريَّةِ المُتوزعةِ فيه ، فوصفُ المُتنبي لمحبوبه فسَّرهُ ابن جنّي بقوله إنَّهُ حبيبٌ يملك كُلَّ شيءٍ بما فيها القلوب ؛ وهي أكثر الأشياء سطوة ومقبُوليَّة ، ولأنَّ الموضوعَ فيه سِعة والفكرة فيه تتشظى إلى جوانب كثيرة راح ابن جنّي يُعزّز خِطابه الشرحي بما يخدمهُ من النُّصوص الشعريَّةِ المُساهمةِ في كشفِ الجوانب غير الواضحة في بيتِ المُتنبي الذي شرحه ؛ فامتلاك القلوب يحتاجُ إلى صفاتِ ذلك المُقتدر الذي استطاعَ السيطرة على القلوبِ واستمالتها إليه ؛ وقد اتضح ذلك باستعانتهِ ببيتٍ للفرزدق وأبياتٍ للمُتنبي في قصائد أُخرى كمعين يُقوّي شرحهُ من خلال الافصاح عن تلك الصفات ؛ وجاء الردُّ بالمُبالغة بذكرِ المحبُوب فهو بعيدٌ مُرتفعُ الرايةِ كالسماء ؛ وهذه دلالةٌ على علوّ شأنهُ ورفعته ، ثم أنَّه حبيبٌ صلبٌ من نوعٍ آخر كونهُ يأسر القلوب وليس كُلُّ المُقتدرين يحملون الصفة ذاتها ، ثم بالغَ الشعر المُعضّد بالتركيز على صفتينِ مُهمَّتين في ذلك المُقتدر وهما السميذع أي السيد الكريم السَّخي والشُّجاع ، والسمهري أي الطويل الضخم صلب العودةِ والشكيمة ، وبذلك يكونُ ابن جنّي قد شرحَ الشعر بالشعر ؛ مُحاولاً ربط

المعلوماتِ المُستحصلة من السياقِ اللُّغوي بما موجود لديه من مَخزونٍ فكريٍّ يصبُّ في الاتجاه نفسه ؛ وبامتشاج المعلومات في سلَّةٍ واحدةٍ تكونُ الرؤى الاستدلاليَّة حاضرةً في تشغيل ماكنة التفكيرِ والتصويبِ ومُعادلة القيم ، أي أنَّ السياقَ المَقامي يفرضُ تواصلاً مُغايراً عن ما هو كائن ؛ فالذاكرةُ التصويريَّةُ التي تمدُّ الشارحَ بالمعلومات المُجانسة والمُماثلة للموضوع تُمثلُ نُقطة تحوّلٍ مُهمَّة في الكيان الاستدلالي ؛ إذ يتم تجاوز دلالاتِ السياقات اللُّغويَّة – لا لأنَّها غير مُفيدة بل هي مُفيدةٌ وغنيَّةٌ ولكنَّها محصورةٌ ومُقيدة – عبر التراكُم المعرفي المُجاورِ للمقاماتِ التي تسمحُ للاستدلال بأخذ فرصته بالظهورِ وتطوير كفاءة الدلالاتِ في الخطاب ، وهذا ما أُنجز فعلاً في خِطاب ابن جنّي الذي نوَّرنا بمعالم وأفكار رُبَّما كانت مخفية عن الجميع ، ويُمكن ايضاحها على النحوِ الآتي :

1 – مثلما يكونُ الشعرُ رافداً مُهمَّاً للتاريخ بل هو جزءٌ تاريخيٌّ بامتياز ، يُمكن أنْ يكونَ رافداً مُميزاً للشرحِ وتبسيط الأفكارِ وايصال المعلومات .

2 – قُدرة الشعرِ على ترتيبِ الأذواقِ واكمال النواقص ، فكُلُّ شاهدٍ شعريٍّ يختصرُ زواية مُعينة في البيتِ الشعريّ المشروح ؛ وباكتمال الزوايا من الشواهدِ المعروضة تكونُ الرؤى أكثر نُضجاً والملامح النهائية أكثر تأثيراً .

3 – تُمثلُ المُقارباتُ الشعريَّةُ سيناريو المدّ والجزر أو الأخذ والاعطاء ، كونها تختزلُ بأقل الألفاظ والتراكيب دلالات كثيرة ، أي توالُد المعاني بحسب كفاءة التوظيفِ والرَّبط المُناسب .

4 – تَمثل فسح المجال أمام المُتلقي لامتحان فلسفته بحسب الآتي :

أ – سُرعة تسخير الذاكرةِ وتهيأتها لمدِّه بالمُحتوى المُماثل لما أحبَّه وفهمه أو استغلق عليه وأربكه .

ب – الإيمانُ بثقافةِ التواصُل القصدي من حيث ربط الإرثِ الماضي بالحاضرِ لاستنتاج مزايا فكريَّة غنيَّة ومُؤثرة ومقبُولة .

ج – قُدرتهُ على تشكيل هُويَّة خِطابه من خلال التزامهِ بمسارٍ مُحدَّدٍ يُعرف به ، والعمل على ترسيخِ دعائم الثقافةِ المُكمِّلة لتلك الهُويَّة .

وأخيراً ترك ابن جنّي خِطابهُ يسبحُ في فضاء الاجترار والتكهُّن بما سيكون ويُنتج ، وذلك واضحٌ من خلالِ ختامِ كلامه بشأنِ الشرح المذكور آنفاً بمقُولة " وهذه طريقةٌ للشُّعراء معروفةٌ وسنَّةٌ منهم مألوفةٌ " ، وهي مقولةٌ فتحت بابَ التأويل على مِصراعيه ، وجعلت المُتلقي مُلزماً بعدم تخطِّي عتبة هذه الفِكرة إلاَّ بعد التدبُّر والفحص ومُعاودة النظر في كُلِّ ما تمَّ استحصاله ، فكون هذه طريقةٌ مُحبَّبةٌ لدى الشُّعراء وسُنَّةٌ قد ساروا عليها فإنَّ ذلك يعني ابقاء الرؤى مفتوحة المعالم وعلى المُتلقي السباحة مرَّة أُخرى لكشف أشياءٍ كثيرةٍ لم يكشفها الشرح هنا ؛ ولاسيما في إطار تطوير الصفات التي عرضها ابن جنّي من خلالِ استعانتهِ بالأشعارِ المُوضحة لفكرته .

وفي النهاية جعلنا ابني جنّي نتخطّى حُدود المعاني بصمتٍ للوصول إلى الاستدلال غير البُرهاني بحسب المدخل الموسُوعي المهيأ لدى من لديه القُدرة على التطويرِ والايضاح .

ثانياً : دمجُ الإخبار (المعلومات) من خلال الأخبارِ والحكاياتِ والأقوالِ

تستندُ الشُّروحاتُ الشعريَّةُ وهي تُؤطِّر خِطابها إلى الحُقولِ المعرفيَّةِ المُنوَّعةِ ولاسيما في زيّها الأدبي ، لتنهل منها ما يُناسب مشاريعها الدلاليَّة وتعملُ على احتوائهِ كجُزءٍ أصيلٍ من كيانها ، وهي بذلك تُؤسِّسُ للمُسوِّغاتِ الراجحةِ والقرآئن الفاعلةِ التي تؤدّي دورها في تفعيل أنشطة القبُول والرضا لدى المُتلقي ، أي أنَّ خِطابَ الشُّروحات يطرقُ أبواباً معرفيَّة كثيرةً ويتأقلمُ مع مُحتوياتها ويُؤدلجها بالطريقةِ التي يراها مُتناسبة مع مساراتهِ وقيوده ؛ ثم يقومُ بتوظيفها بالقدرِ الذي يُحقِّق التميُّز له ويكون الرائد الأول الذي لا يُمكن الاستغناء عن مضامينه وأساليبه ، وبحسب هذا المشروع والنِّظام النفعي عملَ ابن جنّي في الاتجاه نفسه ، إذ راحَ يقتنصُ المعلومات والمعارف من منابعها الأصيلة ؛ ولاسيما تلك التي تحملُ ملامح المُباغتةِ والديمومةِ والتأرجح في الأفكارِ والمضامين لكي تتجانس مع حركة التعميةِ واللَّبس والرموز وغيرها التي يتَّكىء عليها الشعر ، وعليه كانت الأقولُ المأثورةُ والأمثالُ والحِكمُ والأخبارُ والحكاياتُ والقِصصُ وغيرها روافد مُفيدة أغنت خِطابه وألبسته وشاح التألُّق والتفرُّد ، ولكثرتها فإنَّنا سنكتفي بذكر مثالٍ واحدٍ جمع أغلب ما أشرنا إليه ، وهذا واضحٌ في هذا النَّص الذي شرح فيه قول المُتنبي : "

وضَاقتِ الأرضُ حتَّى كانَ هاربُهُم إذا رأى غَيْرَ شيءٍ ظَنَّهُ رَجُلا

طعنَ من لا دربة له بكلام العرب في هذا البيت ، فقال : كيف يرى غير شيء ؟ ومَن لم يألف هذه اللُّغة ولم يمهَرُ فيها تناكر كثيراً من صحيحها . تقول العرب : إنَّك ولا شيءٌ سواءٌ ، وقد أجمعوا أنَّ التسوية لا تقعُ إلاَّ بين شيئين فصاعداً ... ومثل هذا ما رُوي عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال : (لا صلاةَ لجارِ المسجدِ إلاَّ في المسجد) ، وقد أجمعت الأمة على أنَّ جار المسجد لو صلَّى في منزله ولم يخرج إلى المسجد لكانت صلاتُه مقبولة منه مجزيَّةٌ عنهُ ... وكذلك ما يُحكى عن ابن عباس رحمه الله في قوله عزَّ وجلَّ : (وَقَد خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَم تَكُ شَيًا) قال معناه : ولم تكُ شيئا مذكوراً ؛ فحذف المذكور وهو يريده للعلم به . وقال سيبويه : يُقال : سيرَ عليه ليلٌ طويلٌ ؛ فإنْ شئتَ حذفتَ الصفة وأردت ذلك المعنى ، فهذا من قوله يدلُّ على حذفِ الصفة كالشَّائع عندهم ، وهذا البيت لعمري من قول جرير :

تَرَكُوكَ تَحْسِبُ كُلَّ شيءٍ بَعدَهُم خَيلاً تَكُرُّ عَليهِمُ ورِجالا

وأصلُ هذا كلهُ قولُه تعالى : (يَحسبُونَ كُلّ صَيحَةٍ عليهم) . وأخبرني عليٌّ بنُ الحُسين الكاتب قال : حدَّثني أبو محمَّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الخُفافُ ، قال : حدَّثني ابنُ مَهرويه ، قال حدَّثني أبو مسلم يُعتدُّ به من الشُّعراء ، وإنَّما الشِّعرُ حُسنُ أساليبِ الكلام الذي تخرجُ المعاني فيه ، وإنَّما أذكرُ مثلَ هذا لمن أحبَّ سلوكَ الطَّريقةِ المُثلى وإحكام صِناعةِ الشِّعر العُليا . " ([19]) .

برهنَ ابن جنّي في شرحهِ لهذا البيت على قُدرة احتمال الشعر لمعانٍ كثيرةٍ مرة واحدة ؛ وهذا ما تحقَّق بالفعل من خلال جُملة (رأى غَيْرَ شيءٍ) التي مثلت بُؤرة التشظي الحقيقي للمعاني ؛ فالسياقُ اللُّغوي أعلن صراحة عن هُروب القومِ أمام ممدوحه ؛ بل أركسهم في الجُبن أكثر عندما بدأوا يتخيَّلون أي شيءٍ وطيف على أنَّه رجلٌ يُريد قتلهم ، إلاَّ إنَّ ابن جنّي لم يدع خِطابه يستسلم لهذا السياق بل رفده بتصوُّراتٍ جديدةٍ ومُنوعةٍ من حيث انتمائها ؛ بُغية الوصول إلى مرحلةِ الاستدلال بعد تحريك آليات النظام المركزي القادرِ على الجمع والترتيب والتماهي والخروج أخيراً بمُحصلاتٍ غير مطروقةٍ في السابق ، بل هي فرصةٌ لجعل المُتلقي يتماس عن قُربٍ مع هذه المُعطيات لتزداد لديه الرؤية الاستدلاليَّة غير البرهانية أكثر ويتشبَّع منها بالقدر الذي يُغنيه ويُفيده ، فالجُملة المذكورة آنفا هي مَن سمحت لفِكر ابن جنّي بالتدفُّق والجريان في واحاتٍ مُتشعبةٍ لدمج المعلوماتِ في بوتقةٍ أكثر نُضجاً ثم ترحيلها نحو الاستدلال المطلوب ؛ فقد ابتدأ من قول العرب في هذا الجانب ؛ وهو قولٌ يُمثلُ دستوراً يُحتكم إليه لتفسير أنَّ معنى هذه الجُملة مُمَّوهٌ على من ليس له دِراية وخبرة بكلامِ العرب ؛ كونه كلاماً يختزلُ المعاني الكثيرة في قليلٍ من الألفاظ ؛ فضلاً عن الاعتماد على عُنصر المُخاتلةِ والاختفاء خلف أساليب الكناياتِ والتورية وعدم التصريح المُباشر ، أي قبول توظيف المُتنبي لهذا النمط ودعمه واعطائه صِبغة القيمة المُطلقة والسِّمة المُتداولة ، ولكي يكون كلامهُ مفهوماً لدى الآخرين عزَّز فِكرته بأمثلةٍ حيويةٍ من الحديثِ النبويّ الشريف ؛ والقرآن الكريم ، وقول سيبويه في اتجاهه اللُّغوي ، وبيتٍ شعري لجرير ؛ ثم ختم كُلَّ ذلك بتوصيفٍ نقديّ يُحمِّل الشعر طاقات ابداعية لا تتوافر في جنسٍ أدبيٍّ آخر من حيث الأساليب والتوظيف . هذا الكمُ المؤدلجُ من المعلوماتِ المُنتمية لحُقولٍ معرفيَّةٍ مُتنوّعة ؛ والتوزيع المُناسب على وفقِ النظامِ المركزي الجامع لكُلِّ ذلك خلق حركة مُثلى داخل الخِطاب وجعلهُ ينشرُ اشاراته الدلاليَّة بحسب الاجراءات التي لا مَراء فيها والتي توسَّدت المشهدَ وقسَّمت الاستدلال الناجز على اتجاهين : الأول خاص بالشعر والمُتنبي ، والثاني خاص بالمنظُومةِ الفِكريةِ في إطارها العربي . ويُمكن بيان هذا على النحو الآتي :

أولاً : الاتجاه الخاص بالشعر والمُتنبي : والاستدلال فيه هو :

1 – احتواء الشعر على منظُومةٍ مُتكاملةٍ قادرةٍ على جمع المُتشابهات والمُتضادَّات في آنٍ واحد ، وكذلك المُراوغة في عرض حُزمةِ الدلالات مرَّة واحدة ، وهو ما استبان في بيتِ المُتنبي .

2 – اعلاء مكانة شِعر المُتنبي جرَّاء تدابيره اللُّغويَّة المُميَّزة وتوظيفاته الأسلوبيَّة المُختلفة ، وبيان قُدرته على استمالةِ الذهنيَّة العقليَّة وابدال رهاناتها ؛ فجُملة واحدة لديه جعلت الاستدلالَ ينشط ؛ والمعاني تكبُر ؛ والدلالات تأخذ حيز الفضاء وتُسيطر على المفاهيم .

ثانياً : الاتجاه الخاص بالمنظُومةِ الفكريَّة في إطارها العربي : والاستدلال فيه هو :

1 – مثلَ كلام العرب مِعياراً جمالياً ولغوياً لا يُمكن الانزياح عنه وتفادي ومضاته وإشارته ، كونه يحملُ بين طيَّاته مفاتيح مُواكبة المُستجدات في الحُقولِ المعرفيَّةِ جميعها . ولهذا انطلق منه ابن جنّي في شرحهِ لهذا البيت وعدَّهُ الأساس في فهم كُلِّ مُستغلقٍ أو غير مُستغلق .

2 – قُدرة اللُّغة على التماهي والتخندُق المُخاتل خلف التوظيفات الأسلوبيَّة التي تُراعي مبدأ الإثارة والتأثير في المُقابل ؛ فهي " فعل لغوي اجتماعي تتجاوز نسق الجملة الى مستوى النص الذي يتوجه الى الآخرين فتكون خطابا فيه عناصر المقاربة التداولية " (20) ، فرُبَّ جُملة تُشكِّل انساقاً كثيرةً من الدلالاتِ والرموزِ والايماءات وغيرها ، وهذا ما انتجته جُملة المُتنبي (رأى غَيْرَ شيءٍ) من ثورةٍ فكريَّةٍ اعتاش عليها ابن جنّي وطوَّرها .

3 – استخدام التوصيف النقدي كمعولٍ يحفرُ في الأذهانِ قبول امكانات نمطٍ خاصٍ من الشعر ، فقول ابن جنّي على لسانِ عليٍّ بنُ الحُسين الكاتب : (وإنَّما الشِّعرُ حُسنُ أساليبِ الكلام الذي تخرجُ المعاني فيه ، وإنَّما أذكرُ مثلَ هذا لمن أحبَّ سلوكَ الطَّريقةِ المُثلى وإحكام صِناعةِ الشِّعر العُليا) . يُبرهنُ على حقيقة الآتي :

أ – إنَّ الأساليبَ الشعريَّة من حيث الصورِ واللُّغة والصياغاتِ التركيبية تختلفُ عن تلك القابعة في الأجناس الأُخرى ، وهي فرصةٌ لتحبيب الشعر من الجمهور ؛ ليكون عمل الشُّراح ومنهم عمل ابن جنّي أكثر حضوراً ومقبولية .

ب – إنَّ الشعرَ مراتبٌ وطبقاتٌ ؛ وهذا يعني أنَّه لا يُمكن التعامل معها على وفقِ معايير واحدة .

ج – اخضاع الأجناس ولاسيما الشعر لقواعد النقدِ وضوابطه وطُرقه .

د – إثارةُ مسألة حضور المُتلقي ووعيهِ في ادراك ما يخدمهُ بدلالة قوله : (وإنَّما أذكرُ مثلَ هذا لمن أحبَّ سلوكَ الطَّريقةِ المُثلى) ، أي أنَّ المُتلقين كالشُّعراء فهم ذو اذواقٍ مُختلفةٍ تتأرجحُ بين الهابطِ والحاذق ، وفي هذه إشارة إلى احترامِ الأذواق ومُراعاة أحجام المُتلقين لغرض كسبهم واحتضانهم .

وفي النهايةِ نجح خِطابُ ابن جنّي بتضمين مجموعة الاستدلالات التي عرضناها وغيرها التي يُمكن استخراجها في حالِ زيادة التمعُّن والقراءة المُتكررة ، وهذا هو الذي تبتغيه نظريَّة المُلاءمة من خلالِ انظمتها المركزيَّة التي تدمجُ بين طيَّاتها المعلومات وتأقلمها بحسب المفاهيم والأذواق .

وعلى هامشِ الولوجِ في أقبيةِ التَّواشُج الحاصل جرَّاء دمج المعلومات وتعزيز أرصدتها بحسب الاتجاهاتِ الفكريَّةِ المُتعدِّدة ؛ تتأصَّلُ أمامنا رؤية مُتكاملة تُفصح عن هُويَّة نظريَّة المُلاءمة من جانب النظريَّة القالبية ، فالتواشُج جاء من خلال الربطِ المُحكمِ بين المعلومات ودمجها في بوتقةٍ واحدةٍ قادرةٍ على الاثارةِ وجذب الاهتمام ، إذ إنَّ التعضيد ينبغي له أنْ يكون مدروساً ويأتي في

محلّهِ ؛ لكي تأتي النتائجُ سليمة ومُرضية ومُؤثرةً ، أي لا يحصل التواشُج ما لم تكُن الأساليب والمعاني والموضوعات مُتناغمة مع بعضها على درجةٍ عاليةٍ من التوافُقِ الفكريّ والفلسفيّ والفنيّ الأدائي ، وإذا ما كان الأمرُ خلاف ذلك فلا يُمكن القول إنَّ الاشتغالَ كان صحيحاً أو مُتمحوراً حول الدمج المُسيطر عليه والمؤدّي إلى مُبتغاه ؛ بل إنَّه بعيدٌ عن فحواه وسُلطة جدواه ولا قيمة لما ينتج عنه على الاطلاق . لذا ينبغي جعل التآزُر مُقيداً ومحبوكاً ومُتَّجهاً نحو أهدافه ، للوصُولِ إلى مغانم صحيحةٍ ومُغنيةٍ يُعتمد عليها ؛ وتكون في النهاية ومضة مُتَّقدة يُمكن الأخذ من جذوةِ ضيائها في كُلّ مرحلةٍ جديدة . ولكي نسبح في تيارِ التوصيف الصحيح وعدم الخوض في أمواج الفِكر المُتلاطمةِ علينا الاتكاء على ما تيسَّر بين أيدينا من أمثلةٍ سابقةٍ لنستنتج الآتي :

1 – الإيمان بأنَّ أُحاديَّة الأفكار والتوجُّهات غير كافية لانجاح مشاريع العقل والاستبصار ؛ كونها تدورُ في دائرةِ التكرار والمعالم المُتعارف عليها أو رُبَّما المُستهلكة ، لذا ينبغي الانزياح عنها بدرجةٍ عاليةٍ من الحِرفية نحو كُلّ ما يقع في الطرفِ الآخر والاستعانة به والعِناية بقيمه ومَفاهيمه ، وأخيراً السعي الحثيث لدمجِ الأصيل بالمُستوردِ لانتاج هيأةٍ قابلةٍ للإثارةِ والحضور الدائم .

2 – عدم الإيمان بما هو موجودٌ وكائنٌ والتسليم بمُخرجاتهِ وتصوُّراتهِ حتى وإنْ كان صحيحاً وقاراً ، وإنَّما البحث عن الذي سيتحقَّق ويُكوَّن لتشكيل رؤى كثيرة تُضاف لما تقدَّم ؛ وهذا يتطلبُ إلى سلسلةٍ مُتناسقةٍ من العملياتِ الاجرائيةِ للخوضِ في هذا المجال بحسب امكانات الناقد وفلسفته التي يُؤمن بها ؛ ومنها المُساءلةُ والتدقيقُ والتشكيكُ وإعادةُ النظر وغيرها من الاجراءات ؛ وعندها تُحقِّق نظرية المُلاءمة غايتها بحسب مُعالجات الأنظمةِ المركزيَّة المُسيطرة على ذلك .

3 – التيقُّن بأنَّ ترسيمَ المفاهيم المُغايرة عن الجذور الأولى لا تتأتَّى اعتباطاً ؛ وإنَّما هي قائمةٌ على التشاكُل المنطقي ؛ والتقسيم العقلي ، والاستحواذ المُبرمج ، وأي انحرافٍ عن مسارِ تلك العمليات أو التهاون بآلياتها يؤدّي إلى نتائج طارئةٍ لا تُصبُّ في وعاءِ التجميع السليم ، عندها لا تُسيطر نظريَّة المُلاءمة على مُحتواها بل تفقد بريق نتائجها أكثر وتكون عادية الرؤى ومُستهلكة البرامج .

المِحورُ الثالث

تحوُّلات المَقاصد على وفقِ النظريَّة الحِواريَّة

يدخلُ خِطابُ التداوليَّة في مُنعطفِ المقاماتِ البانيةِ للرؤى المُنزاحة عن كيانها الأول ، عبر شبكةٍ مُعقدةٍ فيها احتماليَّة السُقوط في هوَّةِ المزالق بنسبةٍ كبيرة ؛ ما لم يتم السيطرة على

الانفعالاتِ والمُعالجات ، فما يُمكن الخُروج به من تزكيةٍ تفرضها السياقاتُ اللُّغويَّة بمدخليها المنطقي العائم في ذهنِ صاحبه والمُعجمي المُتأسس في التشكيلات الأسلوبية ؛ يُعدُّ السُّلَّم الأول المؤدِّي إلى متاهاتٍ كثيرةٍ ومغانم جمَّة لا تُحصى أطرافها ، أو قُل العتبة التي تفرزُ إشارات واقعيَّة لتحقيق غايات أكبر واستدلالات مِحورية كثيرة ؛ بسبب العناصر الاشاريَّة التي تسمحُ بتسيُّد السياقاتِ المقاميَّة على السياقاتِ اللُّغويَّة ، ولكن مع مُراعاة الاتكاء على ما تفرزهُ السياقات اللُّغويَّة أولاً ؛ ثم الخوض مُباشرة في أفانين التغيير والتحديث والبرامج الفعالةِ في صُنعِ القرارِ المطلوب ضِمن قواعد المَقصد الإخباري ، أي الانتقال من مرحلةِ ما يُفهم إلى مرحلةِ ما يُقصد ، وهي المرحلةُ التي تُمثلُ النواة الرئيسة في نظريَّة المُلاءمة بحسب نظريَّة غرايس الحِوارية . وهذه هي الطِّينة التي يُفترض أنْ تخلُق أجواءً من الاستدلالاتِ المُمنهجةِ بحُكمِ سيطرة المُتلقي على تلك الأجواء وترتيبها على النحوِ الذي يُعضِّد مُحتويات مَقاصده ويبتغيها حاضرة ومقبولة ، لذا فنحنُ أمام سيلٍ عارمٍ من المُسوِّغات والدلائل الجارفةِ للمضامين المُتعارف عليها والأفكار المُتَّفق بشأنها ؛ ولا سبيل إلاَّ بمُهادنتها والقبول بأنساقها والتصالُح معها للحصول على مَراتب من الاستدلالاتِ المُفيدةِ والمُؤثرة .

وبحسب هذه الرؤية تشكَّلت في خِطاب ابن جنِّي معالم الانفتاح في المعاني ، من حيث التركيز على شرحٍ مُعيَّنٍ والافصاح عنه ؛ وترك معاني كثيرة مُبهمة والاستدلال عنها يكونُ من خلالِ السياقِ أولاً ، ثم المَقاصد التي أرادها وأخفاها ثانياً ، ولاسيما بعد عرض بعض الجُمل التي تحوي بين طيَّاتها أبعاداً احتماليَّة من دون شرحها أو التركيز عليها ، في خُطةٍ منه لايهام المُتلقي وجعله في حيرةٍ تُسيِّره نحو الكشفِ ومعرفة المزيد . ويتضحُ ذلك في شرحهِ للشواهد الشعريَّة ؛ ومن ذلك شرحهِ لبيت المُتنبي الذي قال فيه : "

أقْصِرْ وَلَستَ بِمُقْصِرٍ جُزْتَ المَدَى وَبَلَغْتَ حَيثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فَارْبَعَا

قولهُ : وَلَستَ بِمُقْصِرٍ في الشِّعرِ حَسَنٌ ، وهو يحتملُ أمرينِ ، أحدهما : أقصر وأنا أعلمُ أنَّكَ لا تُقصِرُ ، ولا يثنيك عن كرمك ثانٍ كقولهِ :

ومَا ثَناكَ كَلامُ النَّاسِ عن كرَمٍ ومَنْ يَسُدُّ طَريقَ العَارضِ الهَطِلِ

والآخرَ : أقصر فإنَّك إنْ أقصرت ها هُنا ، فلست في الحقيقة بمُقصرٍ ، لأنَّ مَن بلغَ مبلغكَ فإقصارُهُ كلا إقصار ، لأنَّهُ قد تجاوزَ الغاية ، ألا تراهُ يقولُ : جُزْتَ المَدَى . " (21) .

يبدو أنَّ تعاطف ابن جنِّي مع المُتنبي بحسب هذا النَّص واضحٌ جداً ، لأنَّه برر له سلوكه المدحي عبر تحميل أسلوبهِ لمقاصد أرادها أنْ تكون حاضرةً هنا ، وهي مقاصد سُمح لها بالظهور لأنَّ الشعر يقبلُ بلُعبةِ التقلُّبات والابدال والانزياحات ؛ بل إنَّ هذا الاسلوب وغيره مرغوبٌ في النَّصِ الشعري وغير مرغوب في النَّصِ النثري والتأليفي . وقد فعَّل ابن جنِّي في هذا

الشرح مُجريات التأويل التي تُحاولُ الطواف حول الدلالاتِ المبثوثةِ لقراءتها ومُساءلتها ثم ترحيل مَقاصدها نحو مُبتغاها ، ولهذا توزَّعت المَقاصد على مِحورين :

أ – المقصد الإخباري الذي يدور في حلبةِ السياقِ اللُّغوي وامكانات التوجيه المُباشر ، أي توزيع الاشارات المُستحصلة بحسب ما وفَّرته الأساليب ، وعليه يُمكن الخروج بالمقصدين الآتيين :

1 – تمثلتْ في هذا الشرح – كما أسلفنا – روح التعاطُف وذلك من خلال بيان مدى تأدُّب المُتنبي مع ممدوحه ؛ وقُدرته على اختصارِ المضامين الكثيرةِ في ألفاظٍ قليلة ، فالنَّص بثَّ إشارات قُرب المُتنبي من ممدوحه وانصهاره معه لمعرفته بفروسيَّةِ أخلاقهِ التي لا تسمحُ له بالتقصير بواجبه بأيّ شكلٍ من الأشكال .

2 – علامةُ دفاعه عن المُتنبي واضحة بقوله (وَلَستَ بِمُقْصِرٍ في الشِّعرِ حَسَنٌ) ، وهذه اشارةٌ منه إلى نجاحِ المُتنبي في نصِّه ؛ من حيث حُسن توظيفه للأسلوبِ المُناسبِ الذي يُثير المُقابل ويستنطق رغباته ويجعلهُ في مرمى التأويلِ وعدم الاكتفاء بارهاصاتِ ما موجود ، وأخيراً البحث عن جادةِ السِّمات الأكثر انتشاراً وتأثيراً .

ب – المقصد التواصلي الذي ينفتحُ على أبعادٍ احتماليَّةٍ جديدةٍ ويُوفِّر مساحة مُناسبة للاستدلال لأخذ موقعهِ واثبات حضوره . واتضح ذلك عبر شبكةٍ من الاستدلالات التي أُستنتجت وهي كالآتي :

1 – تخضعُ المقولاتُ والجملُ إلى سطوةِ الطاقةِ التأويلية وصولاً إلى الاستدلال المُناسب ؛ فهي لا تأتي اعتباطاً بقدر ما هي موظفةٌ لشغلِ حيّزها المطلوب ، وهذا ما فعلهُ ابن جنّي في شرحهِ لهذا البيت ، ويُمكن بيان جُملتين مُهمَّتين حركتا الاستدلال غير البُرهاني هنا :

أ – إنَّ جُملة (في الشِّعرِ حَسَنٌ) هي جُملةٌ مُنفتحةٌ على فضاءاتٍ مُتعدِّدة ؛ ولكنَّها تُوحي في الاجمال بقُدرة النَّص الشعريّ على احتواءِ الأساليب والمضامين ؛ ومُراعاة توظيفها بسياقاتٍ خاصةٍ تُعطي له هويته وتعزِّز مكانته في نطاقِ النُّصوصِ غير الشعرية ؛ فالنَّص الشعري يسمحُ للمُزايداتِ والمُتضاداتِ والمُتباعداتِ والفلسفات العمل في كيانه على وفقِ مبدأ الإفادة وتحقيق الغايات ، ولهذا تأتي النتائجُ مقبولة فيه ولكنَّها صعبة التأقلُم في النُّصوصِ النثريَّة والتأليفيَّة .

ب – إنَّ جُملة (جُزْتَ المَدَى) التي هي تخريجةٌ لصحةِ نسج المُتنبي ومدحه المُنضبط ، تُمثلُ بؤرة في الكيانِ التأويلي تعتاشُ عليها الاستدلالات وتتكاثر ، فهنا يُبرر للمُتنبي أنَّه تجاوز بممدوحه المدى ورحل به نحو الآفاق البعيدة التي لا تُجارى ولا تُبارى ، ولكنَّه أبقى تلك الآفاق من دون جدرانٍ تحدّها أو حدودٍ نقف عندها ، أي أنَّه لم يُفصح بماذا جاز المدى ، ولكنَّه مع ذلك عوَّل عليها كجُملةٍ لها تبعاتها الاستدلاليَّة التي يكشفها المُتلقي بعد كُلِّ قرآءةٍ جديدة .

2 – يُمثلُ السندُ التقسيمي والتعدُّد في الاحتمالاتِ محوراً نقدياً مُهمَّاً يتطلبُ وعياً فكرياً من صاحب الخِطاب ، فلا تأتي الاحتمالاتُ بدرجة صحتها من عدمها عبثاً ؛ وإنَّما تخضعُ لسلطان

السياقاتِ من جهة ، ولسِعة ثقافة المؤول من جهةٍ ثانية ، ولتضافُر المحورين معاً تتوالدُ الأبعادُ وتنشطرُ الدلالاتُ ، وهذه دلالةٌ على فتح ابن جنّي الباب على مِصراعيه لقبول الترجيح والتعاطي مع المُستجداتِ والاحتمالات الأُخرى .

3 – الاستدلال على هُويَّةِ ابن جنّي من خلالِ قوله (في الشِّعرِ حَسَنٌ) ، أي امتلاكه ملكة نقديَّة أعطته قُدرةً كبيرةً على تفحُّص النُّصوص وتقسيمها ، ومعرفة ما يُلائم النَّص الشعري ويخدمهُ قياساً على النُّصوص التي تقبع في الأجناس الأُخرى . ولأنَّه لم يُصرّح لماذا أصبحت جُملة (وَلَستَ بِمُقْصِرٍ) مقبولة في الشعر ، إلاَّ إنَّه سمح لنا باحترامِ الشعر والبحث عن مكامن قوَّته على الرغمِ من توسُّعه .

وفي النهاية يُمكن القول : إنَّ ابن جنّي راوغ كثيراً في خِطابه وأسبغ عليه سِمة الانشطارِ والتمدُّد ، وسار من خلالِ جُمل قصيرة في أوديةٍ وعرةٍ تتأرجحُ بين الثبات والتأويل وتفاقم الاحتمالات ، وهو على وعي لما يُريد ويرغب من حيث اعلان مضامين ما يُقال في ضوءِ السياقاتِ اللُّغويَّةِ والافتراضاتِ المُسبقة ، والعِناية بمضامين ما يُقصد في ضوءِ السياقاتِ المَقاميَّةِ الدَّالة على الاستدلال البعيد والمخفي في ثنايا النَّص وعقل المُنتج معاً .

وفي إطارٍ مُماثلٍ يُدافعُ ابن جنّي عن شعرِ المُتنبي الذي خضعَ لسُلطة المُساءلةِ من الآخرين دفاعاً واعياً مبنياً على الدلائل والبراهين ، فقد أشارَ إلى أنَّ ما يُعاب عليه المُتنبي في عجزِ البيت هو شيءٌ ليس بالجديد بل هو موجودٌ في أشعارِ أقرانه ، وراح يُؤسِّسُ لذلك بالأمثلةِ والشواهد وهذا واضحٌ في قوله : "

بَلِيْتُ بِلَى الأطْلالِ إنْ لَمْ أقِفْ بِها وُقُوفَ شَحِيحٍ ضاعَ في التُّرْبِ خاتَمُه

قد ذكرنا اللُّغات التي في خاتم ، وطعن بعضهم عجز هذا البيت ، وقال : ليس لفظُهُ في جزالة لفظ صدره ولا في وقوف شحيحٍ على طلب خاتمه مُبالغةٌ يُضربُ بها المثَلُ ، فأمَّا اللَّفظُ فليس ببدعٍ فيه ، بل تقدَّم بنظيره فُحولُ الشُّعراء ، فأوَّلُهم امرؤُ القيس في قوله :

ولَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أرخَى سُدُولَهُ عليَّ بأنواعِ الهُمُومِ لِيَبتلي

فليت شعري أين لفظُ أوَّلِ هذا البيت من لفظ الآخر ؟ ونظائرهُ كثيرةٌ ... وقد ترى إلى عُلوِّ المصراع الأول وبُعد ما بينه وبين المصراعِ الثَّاني ، وأمَّا ذهابُهم إلى نُقصان المعنى ، وأنَّ وقوف الشَّحيح على طلب خاتمه ليس ممَّا يُتناهى في ضرب المثل به فساقِطٌ أيضاً ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ وتقدَّست أسماؤُه ؛ ولا يُقاسُ به شيءٌ ولا يُعادلهُ نِدٌّ ، يقول في مُحكم كتابه : (اللهُ نُورُ السَّماواتِ والأرضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاة فيها مِصْباحٌ) ؛ فليت شعري هل يبلغُ في ضوء الكُوَّة التي فيها مصباحٌ أنْ يفيَ بنور الله عزَّ وجلَّ ؟ ولكنَّ العربَ كما تُبالغُ في وصف الشَّيء وتتجاوز الحدَّ ؛ فقد تقتصدُ أيضاً فيه وتستعملُ المقاربة ، كُلُّ ذلك من عادتها ، لأنَّ لها ضروبَ الكلام وأفانينهُ ،

على أنَّ هذا بعينه قد جاء في الشعر الفصيح ، فضربت العربُ به المثل في التَّلدُّد والحَيرة . " (22) .

يُمارسُ ابن جنّي في شرحهِ لمعنى هذا البيت وما دار حولهُ من لغطٍ في صنعته ؛ دور الناقدِ المُتمرّسِ القادرِ على ليّ عُنق النَّص وإخراج معالمه وأفانينه ، لأنَّه فصَّل الحديث في لفظهِ ومعناه وربطه بنماذج من الشعر العربي القديم كمِعيارٍ يُستندُ إليه لإجراء المُوازنة ، وأخيراً اخراج المُتنبي من دائرةِ التُّهمةِ والشكِ والوقوع في الخطأ ؛ فالخِطاب تفرَّد بانشطارهِ إلى بؤرتين إحداهما مثلت افرازات المَقصد الإخباري وامتثال دلالاته لقواعد السياق اللُّغوي ، والثانية مثلت المَقصد التواصلي الذي ينفتحُ على فضاءاتٍ متنوُّعةٍ في ظلِّ السياقِ المقامي الذي يسمحُ بالاستدلال غير البُرهاني وايجاد البدائل الفاعلة ويُشرعن المُتباعدات كقواعدة قارَّة ، وللافصاح أكثر نرى أنَّ ما اتضح في إطارِ المقاصد الإخبارية الأولية ووجود الافتراضات المُسبقة بين طرفي الخِطاب وبحدود اشارات السياق اللُّغوي يُمكن بيانه على النحو الآتي :

1 – إنَّ ميلَ ابن جنّي إلى تنصيب نفسه حاكماً بين المُتنبي وخصومهِ الطاعنين في بيته هذا ومُحاولة تخطأت الخصوم بما أدلوهُ ؛ يُمثلُ علامة فارقة بدفاعهِ عن المُتنبي وشعره مهما كانت النتائج والمضامين .

2 – تعامل ابن جنّي بحِنكةِ الناقدِ الموضوعيّ للتغطيةِ على تعاطُفهِ المكشوف مع المُتنبي ؛ وذلك من خلالِ الاتكاء على المعيارِ الجماليّ الذي سمح له بربط إشارات البيت بلفظهِ ومعناه بإشاراتٍ مُماثلةٍ في شواهد شعريَّة سابقة وآية قُرآنيَّة ، وهو بذلك يُقرّبُ صورة المَقاصد من بعضها حتى تكون الصورةُ واضحة المعالم بين طرفي الخِطاب ؛ فما أخطأ فيه المُتنبي أو ضعُف لفظه وقصُر معناه كان موجوداً كذلك في شِعر الشُّعراء الآخرين .

3 – زاد من حِدَّة دفاعهِ أكثر عندما برَّر أنَّ ما توافر في بيت المُتنبي هو أمرٌ مُتعارفٌ عليه في كلام العرب ، وهنا مثَّل كلامُ العرب دستوراً لابدَّ من الاحتكام إليه ، بوصفه يتضمَّن معايير ثابتة يُمكن اللجوء إليها في أي وقت ، فكما تُبالغ العرب في القول كذلك تقتصد إذ ما احتاجت لذلك ؛ وهذا ما حصل مع بيت المُتنبي من حيث اقتصادهِ بالمعنى ، وهذا ليس بمعيبٍ كما ظنَّ الطاعنون .

وبتجاوزِ السياقِ اللُّغوي وما حملهُ من مَقاصد بائنة ؛ نجد أنَّ خِطاب الشارح يتضامنُ في وجهٍ آخر مع الدلالاتِ المُستجدَّةِ التي تتوالد بوساطةِ السياقاتِ المقاميَّة بعناصرها الاشارية ؛ لتُشكِّل خيوط البناء المطلوبة في المَقاصد التواصُليَّة ، فالخِطابُ يُحاولُ التحرُّر من قيود المقاصد الأوليَّة والارتماء في أحضانِ الاشاريات لخلق لبنة جديدة ومُتطورة تُحافظ على التوازن المنشود في النَّص ، وفرص التحرُّر تكلَّلت بالآتي :

1 – إنَّ البيتَ الشعريَّ الواحد بوصفه نصاً مُتكاملاً من حيث المضامين والمعايير أُسُّ مفهومه التمدُّد والتمطُّط ، لذا فالألفاظ والمعاني لهما جذورهما وانطباعتهما ، وهما مُتغيّران على الدوام في كُلِّ سياقٍ مُختلف ، وهذا يعني أنَّ الاستدلال يدفعنا لقبول صنعة التأويل وعدم الرِّضا بما هو كائنٌ بل البحث عن ما يُستجدُّ ويكون .

2 – إنَّ قواعدَ اللُّعبة في كلامِ العرب مُترامية الأطراف ومُتعدِّدة الاتجاهات ؛ كونها تضمُّ بين جنباتها المُتقاربات والمُتباعدات والمُتشابهات والمُتضادات ؛ فضلاً عن الشوارد وغيرها ، وعليه فالانفتاحُ الاستدلالي هو هُويَّةٌ فيها لاتساع الرؤى التي تُبنى على وفقِ تلك الثنائيات وغيرها .

3 – ارتباطُ النُّصوص بمُحيطها أمرٌ جدليٌّ لا مُماحكة فيه ، بدلالةِ الاستعانة بأبياتٍ أُخرى لتفسير البيت ، وعليه فإنَّ التواصُل الاجتماعي سِمةٌ بارزةٌ في الإرث العربي ، وهذا ما استبان عبر اشتغال البيت على مساحةٍ كبيرةٍ بدلالة سريان معانيه مضرباً للأمثال (فضربت العربُ به المثل في التَّلدُّد والحَيرة) .

وعلى وفقِ الترابط المُستدام بين المقاصد بحمُولاتها الأولية والاستدلاليَّة المُتشعبة ؛ تبدأُ القرآئنُ الراجحة بتزكية مرحلة الصوغِ الجديدة وتقديمها على أنَّها خِطابٌ تقلُّ فيه الغرابةُ ويبتعد عن المزالق التي تؤدِّي إلى التيه والتعمية غير المُستحبَّة ، فالخِطابُ يبغي الاستعداد لاستقبال المضامين في زيّها المقرون بالثابتِ والمُتحوّل ؛ وتحوير ما يبغيه منها بحسب مُتطلباته ورؤاه ، وعليه فخِطابُ ابن جنّي كان قد مسكَ العصا من المُنتصف وأسَّس جدواهُ بعلامةِ الدفاع عن شعر المُتنبي بوصفه جزءاً من منظُومةٍ شعريَّةٍ عربيَّةٍ مُتأصلةٍ في الذاكرةِ والوجدان ، ممَّا يصعب التمرُّد عليها والحِياد عن جوانبها ، وهذا ما أعطى لكلامِ العرب قوَّتهُ وسطوة حضوره على الدوام كوحدةِ قياسٍ للمُوزانة والمُفاضلة .

وفي ضوءِ هذين المثالين وما نُسجت من انطباعات بشأنهما على مُستوى المضامين وتبدُّل المَفاهيم والرؤى يُمكن القول : إنَّ أنظمة الاشتغال المَرعية في السياقينِ اللُّغوي والمَقامي هي مركزيةٌ ومُوحدةٌ كونها تعملُ ضِمن أُطر مُترامية الأطراف ؛ ولكنَّها مُقيَّدةٌ بسلسةِ إجراءاتٍ مُهمَّتها التوظيف المُميَّز والانتقال المُنضبط الذي يُساعدُ على تداخل الرؤى مع بعضها ؛ مع الاحتفاظِ بقيمتها مُنفصلة بحسبِ السياقِ الذي تتواجد فيه ، فمراسيمُ البدء ليستْ هي ذاتها مراسيم الانتهاء ولكن مُقترباتهما مُتجاورة ، وما يُفعِّلُ هذه الخاصية هو الانفتاحُ والشموليَّة وحركة التأرجح الناتجة من الانتقالِ والتعايش والتناغُم بحسب مُتطلبات السياق والأساليب الداعية لذلك ، وفي إطار هذه الومضات نستنتجُ الآتي :

1 – إنَّ الدلالاتَ في السياقين اللُّغوي والمَقامي تتأرجحُ بين الاشتراط من عدمه ، فهي مشروطةٌ في السياقاتِ اللُّغويَّة كونها تتَّبعُ قواعدَ مُحكمة توجّه المفاهيم نحو ما تُريده ؛ أي تكون الدلالاتُ على مُستوى الفهم المُباشرِ واليقين المُطلق لدى المُتلقين ، وهي غيرُ مشروطة في السياقاتِ

المقاميَّةِ المُنفلتةِ من قُيود التبعيَّة ؛ فالمقاماتُ التواصليَّة ولاسيما في مداها الاجتماعي تُعطي الدلالات فرصة التحرُّر من سجنِ الثابتِ والتعايُش مع المُتحوِّل الذي يُعطي لها زخماً من التجديدِ والتنويرِ والثوريَّةِ والحداثةِ في الصُّعد الفكريَّة ؛ وتأتي انعكاساتُ الصورة أكثر باندماجِ رؤى السياقين معاً .

2 – الإيمانُ بسُلطةِ التشريعِ التأويلي وما يحملهُ من اختزالاتٍ لا تعيها العقولُ البسيطة ، فبفضلِ آلياتِ التأويل نتمكَّنُ من الدخول في مناطق مُعتمة غير مُؤهَّلة في السابق ، ولكنَّها أصبحتْ جديرةً بالعِناية والتأهيل العالي ؛ لما استمكنت منه تلك الآليات وضبطت مساراتها ؛ فالانتقال بين السياقاتِ يخضعُ لمحاور القراءةِ المُتأنِّية والتفحُّص الزائد للوصول إلى دلالاتٍ حركيَّةٍ غير قابلةٍ للتحديدِ والسيطرة ، وهذا هو مِحورُ الانتقال من المَقصد الإخباري إلى المَقصد التواصلي المُتشعِّب لتشعُّب انتماءاته الاجتماعيَّة .

3 – ضرورة التعرُّف على خاصيَّةِ الاستدلال غير البُرهاني من خلالِ ضبابيَّةِ التشكيل ، إذ لا تُوجد درجاتٌ أو مقاييسٌ تُحدِّدُ مُحتوى الاستدلال ، وإنَّما هو في جوهره يتماهى خلف الأنساق ويظهرُ بأوجُهٍ مُختلفةٍ تبعاً للاحتمالاتِ النابعةِ من فلسفةِ المُتلقي الحاذق ، فالكاتبُ يفرشُ بعض البصمات اللُّغويَّة والألغاز الفكريَّة في نصِّه ويتركُ المُتلقي ليخوض في فضاءاتِ الاستدلال بنفسه للخُروجِ بما يُناسبهُ ويعِيه . وهذا عائدٌ إلى امكاناتِ اللُّغة التي تسمحُ بالمُراوغةِ لزيادةِ المعنى إذ " انَّ العملَ على توسيع دائرةِ المعاني مِنْ خلالِ التقابُلاتِ الدلاليَّة للُّغة يعني قُدرة اللُّغةِ ذاتها على الانفتاح " (23) .

4 – عدم تجاوُز مرحلة التصالُح بين الموجودِ والمُستعلم عنه ، بل العمل على تعشيقهما واخضاعهما لتجارب الرَّبطِ لمعرفةِ الأبعاد على نحوٍ أقوى ، فالموجود في السياقاتِ اللُّغويَّةِ والمُستعلم عنه في السياقاتِ المَقاميَّة يتأثران في حركةِ الصوغِ والتنظيم الداخلي والتواصُل الاجتماعي الخارجي ، ويُؤثران بنسبٍ مُتفاوتةٍ بحسب المضامين والموضُوعات ؛ لذا فهما في دوامةٍ مُستمرةٍ تُغني وتُفيد .

الخاتمة

إنَّ برمجةَ الأوْليَّات وإعادة تنظيمها تتطلَّبُ مساحةً من الضَّبطِ والتقييم ؛ للخروجِ بنتائج راعية للمفاهِيم والخُطَّة ، وعليه توصَّلنا في خِضم جولتنا في رحابِ نظريَّةِ المُلاءمة التداوليَّة واشتغالها على خِطابِ ابن جنّي إلى جُملةِ نتائج هي :

- – تحاولُ التداوليَّةُ من خلالِ نظريَّة المُلاءمة الإنتقال من الدَّاخلِ النَّصي إلى السياقِ الخارجيّ الثقافيّ لتحقيق مُعالجات استدلاليَّة .

- – تعملُ التداوليَّةُ – في حُدودِ هذه النظريَّة – على التخلُّص من قُيود الإستعمال اللُّغوي في السياقاتِ الدَّاخليَّة قدر الإمكان، والانفتاح على الإدراكِ المَعرفيّ الخارجيّ لتشكيل رُؤية جديدة .

- – إنَّ اللَّواقطَ والأنظمة الدُّخَّل ضِمن السياقاتِ الاسلوبيَّة الداخليَّة تؤسِّسُ لمظاهر الترميز والتشخيص ؛ في حين أنَّ النظامّ المركزيَّ المُعالج للأقوال يُعدُّ الأكثر رواجاً وحضوراً بسبب ابتعاده عن الترميز والعناية بالاستدلال والفحص .

- – **استطاعَ ابنُ جنّي في خِطابه من دمج المعلوماتِ المُستحصلةِ بالمعلوماتِ** المخزونةِ في الذاكرة ، ثم اجراء تفاعُلات بينهما للوصُولِ إلى مُستجدَّاتٍ مطوَّرة بحسب انتمائها للنظريَّة القالبيَّة بنزعتها المَعرفيَّة .

- – كما استطاعَ ابنُ جنّي جعل المُتلقي يستحصلُ المعلوماتِ الأوليَّةِ ؛ ثم رفده بمعلوماتٍ جديدةٍ وتحفيزه لمعرفة المزيد بنفسه ؛ بحسب نظريَّة غرايس الحِواريَّة بنزعتها اللُّغويَّة .

الهوامش

1 – التداولية عند العلماء العرب : 36

2 – ينظر : التداولية اليوم علم جديد في التواصل : 70 – 72 .

3 – ينظر : التداولية عند العلماء العرب : 37 .

4 – التداولية اليوم علم جديد في التواصل : 74 .

5 – المصدر نفسه : 79 .

6 – التداولية عند العلماء العرب : 38 – 39 .

7 – ينظر : المصدر نفسه : 39 .

8 – التداولية اليوم علم جديد في التواصل : 83 .

9 – ينظر : التداولية عند العلماء العرب : 30–31 . وينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 26–27 .

10 – التداولية في البحث اللغوي والنقدي : 265 .

11 – مدخل إلى اللسانيات التداولية : 34 .

12 – أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 27–28 .

13 – التداولية في البحث اللغوي والنقدي : 265 .

14 – آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 15–26 . وينظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية : 18–42 .

15 – مدخل إلى اللسانيات التداولية : 42 .

16 – الفَسْرُ شرح ابن جنِّي الكبير على ديوان المتنبي – صنعة أبي الفتح عثمان بن جنِّي النحوي المتوفَّى سنة 392 هـ – حقَّقه وقدّم له : الدكتور رضا رجب : 405 .

17 – المصدر نفسه : 404 .

18 – المصدر نفسه : مج 1 / 34 – 35 .

19 – المصدر نفسه : مج 3 / 65 – 66 .

20 – الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم – أ.م.د. عماد عبد يحيى الحيالي و أشواق محمد اسماعيل النجار – مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية – المجلد 28 – العدد 1 – جمادي الآخرة 1442 هـ – كانون الثاني – 2021 : 62 – 63 .

21 – الفَسْرُ شرح ابن جنِّي الكبير على ديوان المتنبي : مج 2 / 400 .

22 – المصدر نفسه : مج 3 / 326 – 327 .

23 – التقابل الدلالي في الأدب الاسلامي البلجيكي – قرآءة تحليلية في أسلمة لغة الشعر لدى شعراء المهجر(الطوفان في نوحه الأخير) أنموذجا – أ.م.د. منال صلاح الدين عزيز – مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية – المجلد 23 – العدد 6 – حزيران – 2016 : 154 .

Sources and references

1-New horizons in contemporary linguistic research - Dr. Mahmoud Ahmad Nahle - University Knowledge House - 2006.

2- Circulation by Arab scholars (a deliberative study of the phenomenon of verbal verbs in the Arab linguistic heritage) - Dr. Masoud Al Sahrawi - Vanguard House for Printing and Publishing - Beirut - Edition 1/2005.

3-Deliberative in linguistic and critical research - edited by Dr. Bushra Al-Bustani - Al-Sayyab Foundation - London - 1st Edition 2012.

4-Today's deliberativeness is a new science in communication - Anne Ruppaul and Jacques Muschlar - translation - Dr. Saifuddin Daghfous, Dr. Muhammad Al-Shaibani - Review by Dr. Latif Zaitouni - Pioneer House for Printing and Publishing - Beirut - Edition 1/2003.

5-Al-Fursr Ibn Jinni al-Kabir's explanation on the Office of Al-Mutanabi - The work of Al-Fath Othman bin Jinni Al-Nahawi, who died in the year 392 AH - verified and presented to him by: Dr. Rida Rajab - Dar Al-Yanabeeh - Damascus - 1/2004

6-Introduction to deliberative linguistics (for students of institutes of Arabic language and literature) - Al-Jilali Dalash - translated by Muhammad Yehatin - University Publications Bureau - Algeria. D.

7-Patrolsalaiqtida' altadawuliu wa'abeaduh alkhitabiat fi tarakib alquran alkarim - a.m.d. eimad eabd yahyaa alhialia w 'ashwaq muhamad 'iismaeil alnijar - majalat tkryt lileulum al'iinsaniat - almajalad 28 - aleadad 1 - jamadi alakhirat 1442 ha - kanun alththani - 2021.

8-altaqabul aldilaliu fi al'adab al'iislamii albiljikii - qura'at tahliliat fi 'aslimat lughat alshier ladaa shueara' almuhjar (altuwfan fi nuhih al'akhir) 'unmudhajaan - 'a.ma.di. manal salah aldiyn eaziz - majalat jamieatan tkryt lileulum al'iinsaniat - almajalid 23 - aleadad 6 - haziran - 2016.